

7me Année No. 304

Lundi - 1 - 5 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق أول مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

على ذكر خطبة هتلر في يوم الجمعة الماضي

هـــذا رجل ! ...

نعم هذا رجل ! ولا يستطيع أن ينكر عليه هذه الصفة في الدنيا صديق ولا عدو ولا محايد. هذا رجل كما نعتقد، لا رسول كما يدعى[1]؛ لأن الرجل لأمته والرسول للناس. وحسب الفوهرر أن يكون رجلاً، فإن الله تعالت حكمته لا يخلق الرجل إلا كل قرن. والأمم تنتظر في أغلالها الرجل، كما تنتظر الخليقة في ضلالها الرسول.

منذ أسبوعين انتظر العالم كله ماذا يقول هتلر ليبني على قوله ما يفعل، ويرتب على حكمه ما يرى. وفي خلال هذه الفترة القصيرة الطويلة أوشك نبض الحياة العادية أن يقف انتظاراً لما عسى أن يكون مصير هذا الكوكب. فلما وقف المستشار على منصة الريشتاغ أصاخ لأمواج الأثير كل سمع في الوجود العاقل. وأعلن الدكتاتور رأيه الصريح بالمنطق الموهوب والبلاغة القوية، فملأ صوته الدنيا، وشغل قوله الناس. وقديماً قيلت هذه الكلمة في المتنبي؛ ولكن دنيا أبي الطيب كانت مملكة الإسلام،

(١) يقول هتلر في خطابه : « لو لم أرعد شعبي الألماني في إتمام السياسة الشعب الألمانية الكبرى لابتعدت عن الرسالة التي تلقيتها من العناية الإلهية »

وباسمه كانوا أمة العرب . أما هتلر فهو أول رجل فى تاريخ الخليقة سمع خطابه أو ترجمته فى يوم واحد كل دولة فى الأرض ، وكل مدينة فى دولة ، وكل بيت فى مدينة ، وكل راشد فى بيت . ذلك لأن هذا الرجل العجيب استطاع فى ست سنين ونصف أن يبنى من الحديد والنار والسم والثأر والعزيمة والعصبية دولة كانت بعد صلح فرساى تتوارى من الخجل ، وتتفانى من الجوع ، وتتهالك من الدين ، وتضع أيديها على هيكلها فلا تجد إلا شلوا تبددت أعضاؤه فى كل وجه ؛ فأصبحت بما نفخ فيها من روح الكفاح ، ووضع فى أيديها من قوة السلاح ، تملك على الدول الحياة والموت ، وتقضى على الأمم بالسلام أو الحرب . كل ذلك فعله كما قال من غير ثورة ولا حرب ، فكان حرياً أن يتبجح فى آخر خطابه التاريخى بقوله : « ألست بعد هذا حقيقاً بأن أطلب إلى التاريخ أن يدخلنى فى الذين حققوا أعظم ما يسمح الإنسان بطلبه من رجل ؟ »

* * *

فى كل أمة ما شئت من القوى الحسية والمعنوية ؛ ولكنها تتفرق فى أفرادها فتضعف ، ويغشاها الكسل فى نفوسها فتخمد . فإذا ما قيض الله لها رجلاً نابغاً يجمع قواها فى قوته ، ويوحّد إرادتها فى إرادته ، استطاع أن ينيلها نصيبها الكامل من الحياة ، وينهج لها طريقها القاصد إلى الغاية . ولكنك لا تجد هذا الرجل دائماً فى كل أمة ؛ فإن خصائص رجولته تكون أشبه بخصائص النبوة . والدنيا أبخل على الناس بمعدن هذه الخصائص لندرته . وهل فى الدنيا أندر من عناصر الإيمان والبطولة والصدق والإيثار والنزاهة ؟ هل يدور بخلدك أن هتلر الذى تمثلت فيه دولة ، ونهض به جيل ، وقام عليه تاريخ ، تتعلق نفسه فى لحظة من اللحظات برغبة حقيرة كمظاهرة فى حفل ، أو ثروة فى بنك ، أو أبهة فى ديوان ، أو تربح فى وظيفة ، أو مدحة فى صحيفة ؟ إن القادة الذين يهيئهم القدر لمداولة الأيام وخلق الشعوب يطهر الله نفوسهم من وساوس الهوى ودسائس الطمع ، فلا ينظرون فى الأرض ، ولا يصغون إلى الفتنة ، ولا يستجيبون إلا للصوت السماوى البعيد الذى لا ينفك داعياً إلى السمو أو إلى التقدم

* * *

هذه مصر مثلاً ، فيها الثروة الموفورة ، والقوى المذخورة ، والعدد العديد ، والموقع الملائم ، والتاريخ الحى ، والمجد التالد ، والهوى المتحد ، والحس المشترك ؛ فتستطيع بهذه المزايا النادرة أن تكون دولة مطاعة لها فى الثقافة لسان وفى الحضارة يد وفى السياسة رأى ؛ ولكن مزاياها لا تزال كامنة أو موزعة أو مضاعة ؛ فلم يتح لها الله إلى اليوم ذلك الرجل المصرّى الذى يجمع من نسماتها الميتة إعصاراً يدوّى ، ومن رغباتها الشخصية طموحاً يحلّق ، ومن قواها المفرقة جيشاً يرعب ، ومن قصائدها الفردية ملحمة قومية ينشدها الليل والنهار ويرويها سجل الأبد

عندنا رجال من صاغة الكلام ، وحفظة القانون ، ومحترفى السياسة ، أفلحوا فى إثارة الصخب ، وتزيين الملاثق ، وتفريق القوى ، وإغراء المطامع بكراسى الحكم وأبهة الألقاب وأموال الدولة ، ولكنهم لم يفلحوا مجتمعين أن يعملوا فى عشرين سنة ما عمله هتلر وحده فى ست سنوات وستة أشهر .

لا تقل إنه الجهل أو العلم فلسنا أجهل من تركيا ، ولا ألمانيا أعلم من فرنسا ؛ ولكنها القوى الشعبية الطبيعية تتجمع وتتحد بالإرادة الصادقة والتوجيه النزيه فتفعل بقلتها المجمّعة فى تركية وبولندا ، ما لا تفعل كثرتها الموزّعة فى الهند والصين

* * *

معاذ الله أن يقع فى ظنك يا قارئى العزيز أنى أحب فردية الحكم لأنى أحب أن يتولى قيادتنا رجل . فإن الرجل الزعيم الذى نرجوه ، نرجوه للقيادة لا للسيادة ، وللإشارة لا للإمارة ، وللجهاد والتضحية لا للاستعباد والأثرة . وإن الرجل الذى نرجوه لنا ولكل أمة حبيبة فى الشرق لا يمكن أن يطغى لأنه مؤمن ، والإيمان من طبيعته كف السلطان وقتل الشهوة ؛ ولا يمكن أن يستبد لأنه مسلم ، والإسلام من شريعته حرية الإنسان وشورى الحكم .

احمد حسن الزيات

المرأة في حياة الأديب

« على ذكر مقال للأستاذ توفيق الحكيم »

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالاً في مجلة الثقافة عن المرأة في حياة الأدباء ، أو لا أدري ماذا كان العنوان على وجه الدقة فقد غاب عني عدد الثقافة تحت أكداس من الورق والكتب والمجلات . وفي هذا المقال يذكر (أو يقرر) أن كل أديب أو كل عظيم لا بد أن تكون في حياته امرأة ؛ وهو يعني بالمرأة (على ما يؤخذ من ظاهر المقال إلا إذا كان له معنى أعمق خفي علي) امرأة معشوقة، أي امرأة تكون علاقة الرجل بها جنسية، شرعية كانت أو غير شرعية . وقد ذكر من أبناء الشرق السيدة خديجة ونبينا عليه الصلاة والسلام، ثم طوى كل هذه القرون التي مضت ووثب إلى الدكتور طه حسين ثم إلى الأستاذ احمد أمين ثم إلى الأستاذ العقاد ، وعين المرأة التي يراها في حياة كل منهم ؛ ثم قال عني إن « الكذب » هبتي (يعني الخيال والاختراع وإن كان التعبير « بالكذب » غير موفق) وقال إن الخيال يختلط بالحقيقة في كتابتي حتى ليتعذر الاهتداء إلى المرأة التي كان لها تأثير في حياتي ، ولكنه أعرب عن يقينه أن في حياتي امرأة (ما في هذا ريب عنده) . وقد اغتنمت فرصة كتاب جديد له (راقصة المعبد) تفضل فأهدى إلى نسخة منه فكتبت إليه كلمة وجيزة في الموضوع على سبيل التصحيح ؛ ولكني أرى هنا أن أتناول الموضوع من ناحية أعم

وأنا أولاً لا أرتاح إلى هذا التناول لحيوات الناس الخاصة . وليس كونهم أدباء أو مشهورين لسبب ما ، بمجيز في رأيي أن نجعل من حياتهم الخاصة وأحوالهم الشخصية «معرضاً» ؛ وهذا عندي فضول أكرهه وأقل ما فيه أنه يفقد المرء حريته واستقلاله . وإذا كنت أروي كثيراً مما أكتب على لساني وأورده بضمير المتكلم فليس معنى هذا أن ما أرويه وقع لي وإنما معناه أني أرتاح إلى هذا الأسلوب في القصة وأراه أعون لي على تمثل ما أحاول وصفه وتصويره . فليس فيما أروي شيء شخصي ، وكثيراً ما نبهت إلى هذا ، ولكني أهمله أحياناً اعتماداً على فطنة القارئ

ثم إني ثانياً لا أرى الأستاذ توفيق الحكيم موفقاً في رأيه؛ فليس من الضروري أن يكون للرجل امرأة في حياته أو للمرأة رجل في حياتها ، أي أن تكون هذه المرأة المعينة هي التي وجهت حياته وجهتها وأثرت فيها تأثيراً جعلها كما هي . والقول بذلك لا يخرج في الحقيقة عن أن يكون مظهر تقليد لبعض ما يكتبه الغربيون . وقد ذكر الأستاذ توفيق السيدة خديجة ونبينا عليه الصلاة والسلام على سبيل التمثيل ، وأراه في هذا المثال مبالغاً . فما تزوج النبي السيدة خديجة لأنه عشقها، بل الذي حدث هو أنه عمل لها في مالها وتجارتها فأعجبت بأمانته وسرها حسن سيرته واستقامته فرغبت هي أن يكون زوجها . وجاءه رسول يدعوه إلى ذلك أو يقترحه عليه وكان هو يعرف لها فضائلها فقبل . وكانت له نعم الزوجة الحكيمة الوفية الرزينة المخلصة . ولكنه ليس هناك عشق بالمعنى المعهود، ولا يمكن أن يقال إنها وجهته أو أثرت في حياته التأثير الذي يقصده الأستاذ توفيق حين يذكر المرأة في حياة الرجل، وإن كان غير منكور أنها كانت إلى حد ما عامل استقرار وأمن وراحة في حياة النبي . وقد سألت الأستاذ توفيق في كتابي الخاص إليه عن المرأة المعينة في حياة المتنبي أو أبي العلاء أو الشريف الرضي؛ ولا بأس من سؤاله أيضاً عن هذه المرأة المعينة في حياة أبي نواس وبشار ومن إليهما . كلا . ليس من الضروري أن تكون في حياة الأديب امرأة معينة بالمعنى الجنسي وإن كانت حياة الرجل لا يمكن أن تخلو من المرأة على العموم . وفرق بين الأمرين . على أن كل شيء في الحياة ليس عند الأديب أكثر من «مادة» وإن كان الأمر في بعض الأحيان يبدو غير ذلك عند النظر السطحي أو السريع

وقد جعل الأستاذ توفيق مزيتي أو هبتي « الكذب » وأنا أشكر له أن رأى لي مزية أو هبة ، ولو كانت «الكذب» ؛ وإذا كنت أخلط الخيال بالحقيقة فإني أحسب أن هذا لا مفر منه ، ولا أدب إلا به . وما أظن الأستاذ توفيق نفسه يفعل غير ذلك أو يشذ عنا معشر الأدباء « الكذابين » فما كان الأديب قط ولن يكون عدسة آلة تصوير . وإذا كان الأستاذ توفيق يظن أن الأستاذ العقاد لم يفعل في رواية « سارة » أكثر من أن يروي حادثة كما وقعت فإنه يكون قد ركب من الوهم شر الحُمُر؛ فإن مهمة

« سارة » الفرص في لجة النفس لا الحكاية بمجردها، والكشف عن أخفى خباياها ، والتحليل الدقيق للخواطر والخوالج الخ .

ولا قيمة لكون القصة حقيقية أو غير حقيقية وإلا هبطنا بالأدب إلى الإعلانات التي يقول فيها أصحابها إن القصص التي ينشرونها في مجلاتهم وقعت فعلاً .

وليس ما يمنع أن تكون في حياة الأديب أو سواه « امرأة » معينة ، ولكنه ليس من المحتم أن تكون هذه المرأة المعينة زوجة أو خليلة ، أي مشوقة على العموم ، ولا أن تكون العلاقة بها علاقة جنسية . فقد تكون أمًّا أو أختًا أو صديقة أو بنتًا . وقد كانت في حياتي امرأة دلني الأستاذ توفيق عليها في رسالتي إليه وهي أمي ، فقد كانت أمي وأبي وصديقتي ، وليس هذا لأنه لم يكن لي أب ، فقد كان لي أب كغيري من الناس، ولكنه آثر أن يموت في حداثتي ، فصارت أمي هي الأب والأم ، ثم صارت على الأيام هي الصديق والروح الملهم . وقد استنفدت أمي عاطفتي الحب والإجلال ، فلم تبق لي حبًا أستطيع أن أفيضه على إنسان آخر ، أو إجلالاً لسواها . ومثلي في ذلك كمثل من يمص عوداً من القصب ويعتصر كل مائه ، فلا يبقى من العود بعد ذلك إلا الخشب الذي لا يصلح إلا للوقود .

ومن هنا عجزي عن الحب بالمعنى الشائع . نعم أستطيع أن أصادق وأصفو بالود ، ولكن العشق على مثال مجنون ليلى أو كما يصفه لنا الشعراء حال لا قبل لي بها ولا طاقة لي عليها لأن ذخيرتي من هذه العاطفة نفدت وليس في وسع نفسي أن تبذل هذا المجهود مرة أخرى .

ومع ذلك أقول إني أرى في عاطفتي لأمي غير قليل من جهد الخيال وإرادة النفس ، وهي في الأصل ولا شك عاطفة صادقة وقوية ولكنه يخيل إلي أني غذيتها وقويتها بالإيحاء المستمر إلى النفس ، لأني كالخروف دائم الاجترار لما في جوفي . وأحسب أن العاطفة قد راقتني وفتنتني إلى حد ما ، أو أني وجدت فيها ريًّا لنفسي أنشده فأجدني ، فتعلقت بها وضخمت أمرها ، وقويتها بالمؤوب في الإيحاء كما تقوى النار بالحطب حتى استغرقت نفسي كلها . وعمرت صدري أجمعه . وما أظن إلا أن هذا سبيل كل إنسان فإنه لا يفتأ

(البقية على صفحة ٨٦٨)

من بريد القراء

قرأت لك في مقال أنك تساعد ناشئة الأدب . واشترطت لذلك شروطاً . وإني راض بها وإليك ما يزيدك معرفة بي : إني فراض مذاكر ، أجرى ضئيل يبلغ ١٢٠ مليماً في اليوم . واطلاعي محدود . وذلك ناجم عن فقري ، لا أقرأ غير الرسالة والرواية والثقافة . ولم أقرأ من الكتب غير بعض مؤلفات المنفلوطي وكتب أخرى . وكانت كتابتي جيدة في الموضوعات الخيالية فقط . ولكني منذ بدأت أثار بكم تغلبت طريقتكم علي . وأنا قوي الذاكرة وأميل إلى التفكير . وأستطيع أن أنفق في شراء الكتب الأدبية ما يقرب من نصف الجنيه شهرياً كما أني أستطيع أن أختلس للأدب خمس ساعات يومياً . لعل في هذه الإيضاحات ما يهون عليكم أمر مساعدتي على السير في طريق الأدب الذي تصفونه بأنه وعر شائك . ولقد زاد إغرائي به ما نشرتموه في « الرسالة » من تحذير للشبان من الاشتغال به في هذا العصر . . . !

نشرت هذه الرسالة التي جاءتني ضمن عشرات الرسائل في هذا الموضوع لسبب واحد : هو عجبي وإعجابي بقارئ تلك حاله . يبذل عن طيب خاطر سدس مرتبه الشهري وقسطاً وافراً من وقته في سبيل الأدب . إنه ذكرني بقراء أوروبا . أولئك الذين يخصصون جزءاً ثابتاً في ميزانياتهم للكتب ووقتاً منتظماً معلوماً للقراءة . مثل هؤلاء القراء هم الذين قامت على أكتافهم نهضات أوروبا الأدبية . وهم الذين ظهر من بينهم أدباء أوروبا العظام . فإن الأديب لا يتخرج في مدرسة . إنما ينبت في حقل الكتب والمطالعات الشخصية . وفي الأدب الفرنسي الحديث مثل صارخ لأديب من أصل بلقاني هو : « بانايت استراتي » لم يكن يعرف الفرنسية ولكنه غرق سنوات في المطالعة وضن بماله القليل على الطعام وأنفقه في شراء كتب جعل يلتهم صفحاتها التهاماً . وإذا هو في يوم من الأيام قد استطاع الكتابة بالفرنسية وإذا هو كاتب معروف يروج من كتبه الألوف . أعطوني إذن ألفين من طراز هذا القارئ وأنا أضمن لمصر نهضة أدبية رائعة وأدباء جدداً يسيرون في طريق المجد .

توفيق الحكيم

التفاؤل والتشاؤم فى الشعر

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إذا درس الإنسان فى التاريخ اندثار الحضارات والأمم وتمكنت تلك الدراسة من نفسه لا يروعه زوال عمل عمره كما كان يروعه لو لم تتمكن ذكرى مشاهد ذلك الاندثار من نفسه، ومن أجل ذلك كنت قد طبت نفساً عما بذلت من جهد وعمل فى الأدب وفى غير الأدب. لكن بعض الأفاضل لا يكتفون منى بذلك بل يريدون أن يغالوا فى انتقاص ما قدمت من عمل، وبعضهم لا يكتفى بانتقاص عملى ويأبى إلا أن يتخطاه إلىّ. وليسوا كلهم من هذا القبيل، فبعضهم أو أكثرهم يستهويه غيره فيتكلم أو يبدأ فى منطقه وتفكيره من العام إلى الخاص فيضع رأياً نظرياً أولاً ثم يلتمس الشواهد ويقسر الأمور على أن تكون أدلة لرأيه، وكان الأليق به أن يتقصى معرفة الأمور أولاً ويستخلص من شواهدها الشاملة الكاملة رأياً. لكن حضرات الأفاضل النقاد كثيراً ما يخادعون أنفسهم ويظهرون الغيرة على الرأى حباً فى الرأى لا حباً للحق والصواب

والذى يريد أن يضع رأياً ثابتاً عاماً، إن كان فى هذا الوجود أمر ثابت لا يتغير، ينبغى له أن يُفنى جزءاً كبيراً من عمره للتقصى والبحث والإلمام بكل ناحية من نواحى الموضوع حتى لا يكون حكمه غلطاً. والأساتذة الأفاضل الشبان يحسبون أنهم قد تتلوا الموضوع بحثاً وأن إدراكهم له أكثر من إدراك الشيوخ؛ فهم إذا تكلموا عن التفاؤل والتشاؤم فى قول ناثر أو شاعر لم يميزوا بين أثر الحالات العارضة الزائلة، وبين نظره إلى مستقبل الإنسانية؛ ولم يفرقوا بين التشاؤم الذى هو تثبيط وبين التشاؤم الذى هو استحثاث للهمم؛ ويحسبون أن كل وصف للشقاء تشاؤم كأنهم لا يعرفون أن الغفلة عنه والتفاؤل بها هو تشاؤم أحرُّ من التشاؤم، ويخلطون بين ما تظهره الدراسات النفسية السيكولوجية من حقائق مُرة وبين التشاؤم. كأنهم يريدون أن يبقى الناس على جهلهم بنفوسهم، وهذا هو التشاؤم حقاً؛ وإنما يكون التفاؤل أن تعرف النفس نفسها، وأن يكون لهذه الدراسة والمعرفة أثر فى صلاحها ورقيها؛ وهم أيضاً لا يميزون بين ما قد يدعو إليه شعر العاطفة والدراسات النفسية من وصف حالات النفوس على اختلاف تلك الحالات من حسنة وكريهة؛ لا دعوة للتثبيط بل دعوة إلى أن يكون الشعر شعراً حياً لا أدباً ميتاً متكلفاً للتفاؤل ومكفناً به.

ولا يميز هؤلاء الأفاضل بين يأس العجز والقنوط والتراخى، ولا بين يأس الاستبسال الذى هو قوة تفوق أمل أحلام المخدرات وأمانى ذوات الخمار. والذى يدعو إلى التشاؤم حقاً هو أن تُنشر فى الرسالة قصيدة (العصر الذهبى) التى نظمت لتمجيد جهود الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ومحاولتها تحقيق ذلك العصر الذهبى الذى تحلم به؛ وقصيدة (نحو الفجر) التى جُعل الفجر فى آخرها رمزاً لفجر مستقبل للانسانية؛ وقصيدة: (شهداء الإنسانية) التى تدعو إلى نصرة من ضحوا بحياتهم وسعادتهم فى خدمتها، وإنما يكون الانتصار لهم بالانتصار للمُثل العليا التى ضحوا بحياتهم وسعادتهم لتحقيقها؛ وقصيدة (الشباب) التى تعبر عن أمل الإنسانية فى جهود الشباب وآماله وأحلامه؛ وقصيدة (الباحث) التى خلده البحث والأمل، والتى يبشر للانسانية الحق والرقى؛ وقصيدة (إلى المجهول) التى تدعو إلى تقصى أسرار الحياة والخليقة؛ أقول مما يدعو إلى التشاؤم حقاً أن يأتى إلى قراء الرسالة كاتب يقول: إنى أدعو إلى التشاؤم بعد ما نشرت فيها. وليست هذه كل قصائد الأمل؛ فقد نُشر فيها أيضاً قصيدة: (الأمل) الطويلة فى وصف آثار الأمل فى الحياة. وقصيدة: (النجاح) و (فن الحياة) تمديناً لثمرات الفنون والحياة وجعلها فناً فى جميع مظاهرها، وقصيدة (سر الحياة) وفى آخرها إظهار عبث الشكوى منها، وأن الشكوى ليست مؤسسة على حقيقة ثابتة، بل على حالة نفسية. ونُشر لى فى الرسالة فى وصف محاسن مشاهد الكون والحياة: (ليلة حوراء) و (بين الجمال والجلال) و (الفصول) و (سحر الطبيعة) و (على بحر مريس) و (الصحراء) ... الخ. ومما يدعو إلى التشاؤم حقاً أن يكتب الأديب الفاضل فى المقتطف لقراء المقتطف: أنى أدعو إلى التشاؤم وقد نُشر لى فيها: (بين الحق والحسن) وهى وصف للصراع النفسى بين نشدان الجمال وطلب الحقيقة؛ وفى آخرها ذكر أن طلب الحقيقة فى الحياة والحياة نفسها لا يدومان إلا مع نشدان

الجان فيها . ونشر لى فيها أيضاً قصيدة (قيد الماضى) وهى دعوة للإنسانية أن تأخذ من الماضى عظاته ، وألا تتقيد بطباع الأثرة والأحقاد التى خلفتها الدهور الطويلة . ونشر لى فيها قصيدة : (النشوء والارتقاء) وهى دعوة لمساعدة هذه السُّنة فى الأمور النفسية والخلقية كما سرت وتسرى فى الأمور العقلية . ونشر لى فيها أيضاً قصيدة «أمنيات النفس» وفى الأمنية الثانية أى طلب القوة لكل أمل ولذة فى الحياة . ونُشر فى المقطم قصيدة (الأبد فى ساعة) وهى دعوة إلى استرسال النفس فى مطالبها غير المحدودة . لقد كنت أفهم قول الدكتور أدهم لو نقد ما نُشر لى قائلاً إنه دعوة إلى التفاؤل يولع فيها وغولِىَ بها؛ وقديماً قد ميزت بين أمل وأمل ويأس ويأس ، فقلت فى الجزء الثانى : إن أمل الغفلة والأثرة وقلة الاهتمام بشؤون الإنسانية هو أمل مخضب بالدم :

هل يَشْتَفِى ذلك الـ   أملُ المُخَضَّبُ بالدم

يدحو شقاء الأبريا   ء ويشى لم يُكْلَمِ

وميزت بين يأس الكسل والعجز والخمول ويأس السخط والمساورة :

وفى اليأس يأس يبعث المرء بعثة   إلى الغاية القصوى من السعى والجد

وقلت إن الخير أغلب على الإنسان :

صَرَّحَ الخير والأذى   فيـــه والخير أغلبُ

فإلى المُجْرِم نسبة   وإلى الله يُنْسَبُ

وقلت إن الأمل والعمل من صفات العظمة :

أعاظم الناس فى اللأواء كم صبروا   إن العظيم عظيم السعى والأمل

وقلت إن الأمل هو حسن الحياة :

كأن حياة المرء حسناء أرمل   إذا قيل ساءت حالها طاب حالها

لها شافع يدعو إلى الحزن حكمه   وآخر يخشى أن يزول جمالها

وقلت إن ألم النفس قد يكون حلية لها :

ألم تَرَ أنَّ القُرْطَ ليس بحلية   على الأذن حتى تؤلم الأذن بالثقب

وإن الآمال النبيلة هى دواء الشر والشقاء ومبعث إلى الرقى :

آمال تُنْسى الفتى شقاوته   وتُعْدِم الشر أى إعدام

تسمو بنفس المحب عن دَنَسٍ   فيها ولؤم جَمٍّ وأوغام

وفى قصيدة أخرى :

يرقى الوجود بعيش الصالحين له   من ليس يدركهم عجز ولا كَلَلُ

إن الحياة جهاد لا خفاء به   فليس يُفلح إلا الأغلب البطل

وفى أخرى :

وعِشْ مع هذا الكون كَوْناً مُعَظَّماً

وكُنْ فى قواه بين ناهٍ وآمر

وفى أخرى :

فإنى رأيت النفس كالأفق بَهْوُها

تسير بها الآمال سير الكواكب

وفى قصيدة (المجاهد الجريح) :

ولا أشتكى أنى جرعت مريرها   فياليت عمراً فى الحياة يعادُ

فأجرع منه الحلو والمر إنما   مشارب من يهوى الحياة يرادُ

جهلنا فما ندرى على العيش ما الذى   يراد بعيش نحن فيه نُقَادُ

سوى أن عيش المرء بالشك فاسد   وأن يقينا فى الحياة رشادُ

وعلى ذكر (المجاهد الجريح) أقول إن أكثر عنوانات قصائدى يدل على الدعوة إلى الأمل كما يتضح من ذكر ما ذكرت من القصائد وما لم أذكر كالإيمان والقضاء والحياة والعمل والعظيم والبطل وقوة الفكر والكونان[1] وعلالة العيش والمثل الأعلى وخلود التجارب والملأ الأعلى وزورة الملائكة

فى قصيدة (الحياة والحق) :

لولا فروض العيش لم أعبأ له   حيناً من الآراء والعزمات

إن التجارب كالأزاهر جمة   أو ما اغتفرت الشوك للزهرات

ياقلب لا يُثنيك ذعرك للأسى   فالخوف أول مهبط المهواة

وفى (العيش والرجاء) :

لو أدرك الإنسان آماله   وصابه منها كقطر المطر

ولم يَعُدْ يعرف ما يبتغى   ولم يجد فى العيش ما يُنْتَظَر

لكان أشقى الناس فى عيشه   حتى تقول النفس أين المفر

لا عيش إلا بطلاب المنى   لولا المُنَى فى عيشه لانتحر

وفى قصيدة (مرحباً بالأقدار) :

أدِرْ علىّ كؤوس العيش قاطبة   سعد ونحسٌ وإمران ولا كرام

إلى :

هذى مرارة كأس لذ شاربها   خمارها فهو عَبّاسٌ وبَسّامُ

---

(١) وهى أمل فى أن تخرج من الحياة حياة أرقى ومن العيش عيش أرقى وفيها :

هاربا منـــه مثلما   تخرج الحية القميص

وفى خلود التجارب :

وما العيش إلا حكمة وتهاون … تخالط مجهولاً لديه بمعلوم

وتخلط حلواً فى الحياة بحنظل … وتأخذ من عيش حميد ومذموم

وتنصح أن الجد يلهى عن الأسى … وإنْ كان جداً لا يجئ بمغنوم

وفى قصيدة المثل الأعلى :

والعيش إنْ لم تَبْنِهِ لعظيمة … فالعيش حُلْمُ طوارق الأعوام

والنفس إمّا شئتَ كانت عالماً … يسع الدنى فى طوله المترامى

وفى قصيدة الملأ الأعلى :

مرحباً بالمـــلأ الأعلى الذى … شرفت دارىَ منه والفِناء

أسعدونى أقتبس من نوركم … بُلغـــة النفس ورِيًّا للظماء

طهرت نفسىَ فى أضوائكم … مثلما تطهر أجسام بمـــاء

وشممتُ الخلد من أنفاسكم … نفس يشفى من الداء المياه

وأرى فى النفس رسماً منكمُ … مثل رسم النجم فى متن النِّهاء(١)

وعبيراً كشذى الأزهار إنْ … خلَّفتْ فى الأنف ذِكْرَى كالذَّماء(٢)

وفى الملك الثائر :

والشر والخـير لا يُرْتجى افتراقهما … فارفض إذا اسطَعْتَ نعماى ولذاتى

حتى العقول وحتى الفضل أجمعه … ولذة النفس فى بذل المروءات

وحتى فى قصيدة الموت جعل الموت باعثاً للأمل :

وهيهات أن يسلو عن العيش جازع … من العيش حتى يصبح العيش ماضيا

وحتى يموت الحب والذِّكْرُ والمُنى … وتتلو نواعى الشائقات المناعيا

وحتى يموت الموت لولاه ما بكى … حريصٌ على دنياه يخشى الرزايا

وفى قصيدة (طيرة الفرخ) :

فَسَلْ قلب الشهيد عن البلايا … يُخَبِّرْكَ الشهيد عن الحبور

وفى قصيدة (الشجرة والغراب) :

إذا أنت ما ذقتَ مِنْ مُرِّها … أتعرف ما الخير مِنْ شَرِّها

وفى الصبر صبرٌ يُريكَ الدنى … كأنك رُفِّعْتَ عن أسرها

وفى قصيدة (الصبر) :

اصبر لعـل النحس فى لونه … إذا دجا ظِلٌّ لدانى النعيم

لعل دمعاً منك لم تحتسبْ … يُنبِتُ زهراً فى اليباب العقيم

لعـــل دمع النحس در له … يُسْلَكُ فى عقد الرخاء النظيم

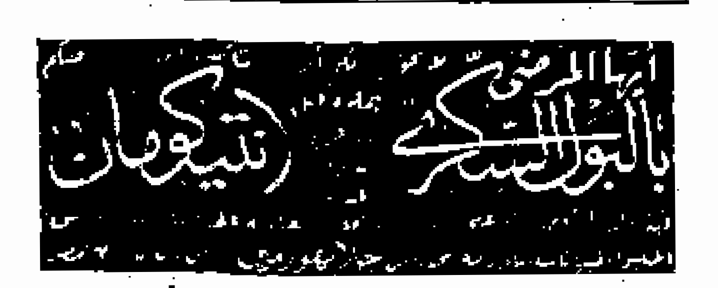
كم خيبة تعقد عزم الفتى … للمهر لولا الصخر خطو السقيم

وفى (علالة العيش) :

وإنّ ضياء العيش يزهو رواؤه … لأنّ حاطه بين الأنام ظلام

وأما وصف محاسن الكون والطبيعة ، ففيه قصائد كثيرة مثل (سحر الربيع) و(خيلة الحب) و(الفصول) و(ليلة حوراء) الخ . ولو أن الأستاذ الفاضل تقصى كل ما كتبت من نثر وشعر لعلم أن ثقافتى غير مقصورة على مذهب واحد ، ولا أحتذى احتذاء أعمى ، وأنه حتى القصائد التى بها وصف الشقاء أو مقابح النفس أو الموت أكثرها به أيضاً وصف محاسن الحياة . وإذا كنت قد أخطأت الذوق الفنى الصحيح فى دراسة نفسية فهذا من خطأ المبتدىء المغالى الذى أراد أن يقلب الأدب من صناعة لغب إلى دراسات سيكولوجية ربما لا يعجب بها الأستاذ ؛ وربما كان من الخطأ عملها والأستاذ أوسع ثقافة من ألا يرى تعدد مذاهب الثقافة فى قولى حتى يقصره على مذهب واحد شأن الذى لم يطلع عليه . وإذا لم يكتف الناقد الفاضل بهذه الشواهد والقصائد العديدة ذكرنا له غيرها ، وليس أربنا تخليد قولنا ، فقد رضينا باندثاره لو رضى أمثال الناقد الفاضل . وقد كنا هجرنا الكتابة والنشر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٥ وما عدنا إلا بسبب التحرش من ناحية ، والتأنيب من ناحية أخرى .

عبد الرحمن شكرى



(١) النهاء بالكسر جمع نهى وهو الغدير

(٢) الذماء بقية الروح

أعلام الأدب

بين أرستوفان ويوريبيدز
وبين يوريبيدز والمرأة

للأستاذ دريني خشبة

كان يوريبيدز شذوذاً كبيراً في العصر الذي كان يعيش فيه ... لقد كان ثورة جامحة هدامة لا تدع شيئاً إلا أتت عليه، ولا ترى شيئاً يقدسه الناس إلا سخرت منه واستهزأت به وتهكمت عليه ... وكانت سخريته مع ذلك لاذعة ضارية لا يهمها أن تكون وحدها في جانب وكل أعدائها وهم جمهور الأثينيين أو كثرتهم الساحقة في جانب آخر

وكان الناس حزبين في يوريبيدز : كثرة محافظة من الرعاع ورجال السياسة والتجار يسوؤها أن تهان آلهتها وتستباح تقاليدها فهي ضده وهي تكرهه وهي تنقم عليه وتهزأ به وتسخر منه كما يسخر منها ، ولكن على طريقتها البورجوازية في السخرية والاستهزاء . . . وكانت مع ذلك تتخذه هُزُواً وتجري وراء أرستوفان كيما يضحكها عليه ، ويؤلف لها المهازل في ثلبه والطعن عليه والتشهير به وتسفيهه ونهش عرضه وإرسال لسانه في أبيه وفي أمه على السواء ... وقلة مستنيرة مثقفة كانت تعرف ليوريبيدز حقه ، وكانت تؤمن بأنه صاحب رسالة عالية ستعود بالخير الجزيل على الإنسانية في كل زمان ومكان ، وستظل معيناً ثَرًّا سائغاً يقبل عليه الظماء فيروون منه ويعالجون آلامهم ويلتذون فيه الأدب والفن والفكر والجمال والعبقرية

لكن هذه القلة كانت تخشى الرعاع الناقمين على يوريبيدز ، وحق لها أن تخشاهم لأنهم ليسوا رعاعاً جهلة مثل رعاعنا ، بل كانوا رعاعاً متعلمين ، لأنه لم يكن في أثينا في عصر يوريبيدز رجل واحد غير متعلم !

كانت هذه القلة إذن لا تستطيع أن تنفع يوريبيدز العظيم ، لأن الزعماء الذين يؤلفون كثرة الجمهور الأثيني وجدوا لهم شاعراً آخر لا يقل عبقرية عن يوريبيدز ، لكنه شاعر جامد مغلق التفكير محافظ أشد المحافظة على تراث السلف ، فكان يؤلف كوميدياته في الطعن على شاعر القلة المهذبة المستنيرة والنيل منه والإزراء بأدبه وتفكيره ، وكان يجد جمهوراً كثيراً ضخماً يصفق له ويقبل عليه ، ويستزيده من ذلك التضحيك المؤلم المرير الذي كان يعصف بنفس يوريبيدز ؛ وكان ذلك الجمهور يدفع مع كل هذا ثمن التضحيك والسخرية أموالاً جمة ضخمة، فإذا شهد التمثيل خرج نشوان بما سمع ، ثملاً بما رأى ، وراح يجادل في مُثُل يوريبيدز من غير هدى ولا برهان مبين ... إلا هذه النكات التي صنعها فيه أرستوفان ، وصنعها شائكة نافذة حامية ، وإلا هذه المشاهد التي تظهر فيها الحمير على المسرح ويظهر فيها أقرباء يوريبيدز من الرجال المحترمين متنكرين في زي النساء الساقطات اللائي لا أخلاق لهن ، حتى إذا عرف الجمهور حقيقتهن أغرق في ضحك طويل مرير وانطلق يصفق ويصفر وهو يقبض على الكبود والقلوب من كثرة الضحك وشدته

وكانت النساء في أثينا من حزب أرستوفان على يوريبيدز ، لما كن ينقمن منه تناوله حياتهن الخاصة في دراماته تناولاً لم يكن سائغاً في ذلك العصر ، بل كان تمزيقاً للحجب الكثيفة التي كن يعشن وراءها قابعات في الخدور أو مقصورات في الخيام ، مما عددنه منه قلة أدب وقلة حياء وقلة ذوق ، بل قلة في كل مظهر من مظاهر الفضيلة والحفاظ ، وسنة السلف الصالح .

لقد كانت مسز جراندي التي هيمنت طوال العصر الفكتوري على المنزل الإنجليزي وعلى الفتاة الإنجليزية تهيمن بشدة وعنف على المنزل الأثيني والفتاة الأثينية . . . والمسز جراندي هي تلك العجوز الشمطاء المتزمتة التي كانت تكره للفتاة الإنجليزية كل تقدم وكل رقي ، وكل ثورة على العرف ، وخروج على التقاليد ، وكانت تفرض سلطانها على البيئة الإنجليزية فتحترم وتطاع احتراماً كاملاً وطاعة عمياء . وكان الوسط الإنجليزي يقدس أوامر مسز جراندي ويأخذ بها نفسه ، ومسز جراندي مع ذلك شخص خرافي لا وجود له ، لكنها كانت تمثل التقاليد الإنجليزية الموروثة بحيث لا تسمح لأحد بالثورة عليها . فإذا ظهر أديب مثل يوريبيدز لا يبالي سنة السلف صاحت برعاياها أن حذار ، ثم سلطت عليه السفهاء الجامدين من أمثال أرستوفان يشهدون عليه ، ويسخرون به ،

لكنها شبذة لم تكن قط تبلغ عشر معشار ما بلغت شبذة ســز جراندى فى البيئة الأثينية ... وكان يثير ســز جراندى الأثينية على يوريبيدز ما كان يبديه هو من ثورة على التقاليد التى كانت تفرضها ســز جراندى على قومه ... فلقد كان يتناول فى دراماته العلاقات الشائكة بين المرأة والمرأة ، والعذراء والعذراء والمرأة والرجل ، بل غالى مغالاة مخيفة فتناول موضوع الميل الجنسى الشاذ عند الذكور فى درامته المفقودة (خريسبُّوس) ، وموضوع الصبوة الزوجية فى مثل مأساة امرأة عزيز مصر مع الني يوسف فى مأساته هيبُّوليتوس - التى سنلخصها للقراء - والتى عالج فيها مشكلة الطلاق ، ومأساته المفقودة (ستينبويا) التى عالج فيها المشكلتين معاً .

وكان يوريبيدز لا يستحي فى معالجته هذه المشكلات أن يستشهد بتجاريبه هو ، وأن يطبقها تطبيقاً صريحاً ، ولكنه تطبيق على سيكلوجى . كان له الفضل فى ابتداعه ومحاربة الخجل الذى يخفى الحقائق بسلاحه ، ولذلك أطلقوا على يوريبيدز (إبسن القديم) إشارة إلى المسرحى العظيم هنريك إبسن الذى نقل الرواية التمثيلية من عالمها الرومانتيكى إلى عالم الحقيقة والواقع فى عصرنا الحديث ...

لقد كان يوريبيدز شذوذاً كبيراً فى العصر الذى كان يعيش فيه ، ولقد كان كما قدمنا ثورة جامحة على تقاليد عصره ، ولن ينسى التاريخ يوم جال أرستوفان وصال ، وراح يستصرخ نساء أثينا عليه ، ويغرى بينه وبينهن العداوة والبغضاء ، ويهيب بهن أن يثأرن من يوريبيدز لشرفهن وحفاظهن وتقاليدهن يوم استباحها جميعاً فى مأساته (ميديا) تلك المأساة التى كانت نجاحاً رائعاً ليوريبيدز ؛ بل كانت تكفى وحدها لتخليد الاسم الذى يتشرف بأنه اسم مؤلفها . ومع ذلك فقد انتصر الجمود عليها ، وظفرت الرجعية الذميمة بها ، فسقطت سقوطاً شنيعاً بعد العرض الأول

قال جيته : « لا أدرى إذا كان أى مسرحى فى أية أمة خليقاً أن يحمل نعلَىْ يوريبيدز فيقدمهما إليه ! ! »

كلمة ساخرة من جيته ! ! وقد أرسلها فى أعداء يوريبيدز ، وناقدى دراماته وخص بها قبل كل شىء عدوه الأكبر أرستوفان لكن أرستوفان ، وإن يكن أديباً رجعياً شديد المحافظة على تراث السلف الصالح ، إلا أنه كان موضع إعزاز أفلاطون . وأفلاطون لا يجعل أحداً موضع إعزازه عبثاً . فقد كان يشهد لأرستوفان أنه وحده الذى عرف قيمة الحياة . فضحك ثم ضحك ثم ضحك . وجذب إليه الناس ليضحكهم عليها وعلى الحقيقة وعلى يوريبيدز !

والآن ، ما هى ميديا هذه التى أحفظت نساء أثينا على يوريبيدز والتى استغلها أرستوفان فى إعلان الحرب على الرجل الذى ألهمه فنه إذ هو طفل أو غلام فى السادسة عشرة حينما كان يذهب إلى المسرح فى حرقة وتشوف للتمتع بدرامات يوريبيدز ؟ إنها مأساة دامية تذيب نياط القلوب بما حشده فيها يوريبيدز من العواطف المتضادة المتنافرة ، وألوان القسوة التى لا تتورع المرأة من ارتكابها فى سبيل لذتها وحبها . إنها مأساة مشتقة من خرافة جاسون التى لخصناها للقراء منذ عامين . ثم هى حلقة مكملة لمأساة أخرى نظمها يوريبيدز فى التاسعة والعشرين وسماها : بنات بلياس

وجاسون ابن ملك تسليا هو بطل الدرامتين ، وقد كان له عم يدعى بلياس طمع فى الملك واستعان على أخيه بجيش أجنبى نخلعه وتولى هو مكانه . ثم قبض على الملك وزوجه وأقام عليهما رقابة شديدة صارمة . وأرسل الملك المخلوع ولده الطفل جاسون إلى السنتور الخرافى شيرون ليعلمه الفروسية . حتى إذا شب ذكر له ما كان من عمه مع والديه ، وأهاب به أن يثأر لهما ولنفسه وأن يخلع عمه ويتربع هو على العرش لأنه به أحق . وعاد جاسون بعد إذ استوى عوده وزوده أستاذه بالنصائح الغالية ، وأوصاه بمكارم الأخلاق ، وأن يحترم كلمته ويبر بوعده . وقد فوجئ بلياس الظالم بحضور ابن أخيه ، وكانت نبوءة قد حذرته منه لأنه سيكون سبب قتله ، فلما طلب إليه جاسون أن يخلى له مكانه من الملك عمد بلياس إلى الحيلة ، فانتهز فرصة غناء المطربين ، وإنشاد المنشدين فى محفل كان قد أقامه لنقر القرابين للآلهة ، ولفت انتباه جاسون إلى قصة الفروة الذهبية التى يحتفظ بها الملك إيتيس — ملك البربر ووالد ميديا — وحرضه على الحصول عليها . واستثار فيه نخوة الشباب وخيلاءه ، فوعده جاسون بها . وبعد مجازفات وصعاب وعن وصل جاسون إلى الملك إيتيس حيث لقيته ميديا فمالت إليه ؛ بل جنت به ، حتى إذا عرفت ما جاء له وعدته بالمساعدة ، وكانت تعرف من فنون السحر ما تتغلب به على كل محال . فأعدت له غدراً

أدناه من التنين الهائل الذى كان يحرس الفروة الذهبية فاستغرق في سبات عميق . وذبحه جاسون وحمل الفروة الذهبية وفر بها مصطحباً ميديا وأخاها الصغير أبسترتوس حتى إذا كانوا عند البحر ركبوا في السفينة التي أعدها جاسون لهذا الغرض — وكان اسمها الآرجو — فأقلعت بهم تحت جنح الظلام

وفي الصباح اكتشف الملك إيتيس الأمر فجن جنونه لفرار ابنته ، ثم لأنها صحبت معها ولي عهده وولده الأوحد أبسترتوس ، ثم لضياع كنزه الثمين الذي لا يقدر بملء الأرض ذهباً ... فيعد سفينة عظيمة ويبحر في نفر من صفوة بحارته وأجناده في إثر الآرجو ... وتمضي بضعة أيام ، وتدنو سفينة الملك من الآرجو حتى تكاد تلحق بها ، فيشتد ذعر ميديا ، ولا تصغي إلى توسلات أبيها الذي تعتقد أنه منعها أشد العذاب إذا وقعت في يديه أو استسلمت إليه ... وهنا تذبح أخاها ولي العهد وتقطعه إرباً ثم تلقي في اليم وراء الآرجو بالقطعة منه وراء القطعة ، فيضطر الملك البائس إلى انتشال أشلاء ولده باكياً متفجعاً ، فتبطئ سفينته وتغيب الآرجو عن الأبصار وتفلت ميديا وجاسون

لقد وعد جاسون ميديا أن يتزوجها إذا هي ساعدته في الحصول على الفروة الذهبية ، وقد فعلت ، فلما آب إلى وطنه بنى بها وعاشا في رغد وطمأنينة ، ورزقا غلامين جميلين

هنا تبدأ الدرامة الأولى (بنات بلياس) .. يظل جاسون زماناً لا يستطيع الحصول على العرش ، وينضم إليه أبويه الحطمين الهرمين ، فترثي لهما ميديا ؛ وبصنعة جميلة من سحرها ترد عليهما شبابهما فيرتدان أجمل مما كانا في شرخ صباهما ؛ ويتسامع الناس بما كان من ذلك ، وتعلم بنات بلياس اللائي كن قد أبدين السخرية بميديا وأشعرنها احتقارهن ، بما تم لعمهن وزوجته من ارتدادهما إلى الشباب بسحر ميديا ، فيأخذن في ملاطفتها ، ثم يسألنها أن تعيد إلى أبيهن شبابه حتى تطول أيامه في الملك ، وهنا تشير عليهن ميديا أن يذبحن الملك بعد أن ينام ثم يقطعنه إرباً حتى تحضر هي فترده إلى الحياة كما ترد إليه شبابه وتخلع عليه برد صباه ... ويطيعها بنات بلياس فيقتلن أباهن .. وبذلك يتخلص منه جاسون .. ويصبح البنات مجرمات في نظر الشرع والقانون؛ لكن جاسون يستطار من شناعة ما تصنع ميديا ، فلقد ذبحت أخاها دون أن تأخذها فيه رأفة ودون أن يتحرك قلبها لتوسلاته وعويله ، ثم راحت تمزق بدنه وتلقي بأشلائه في اليم ... وهي اليوم تصنع مثل الذي صنعت بالأمس فتحرض بنات عمه على تلك الفعلة الشنعاء ...

لقد تبدلت نظرة جاسون ، ورفع عن بصره غطاؤه ... لقد كره ميديا !

ثم تبدأ الدرامة الثانية ، التي هي مفخرة يوريبيدز ، والتي سماها (ميديا) ، والتي آذت نساء أثينا وأقعدتهن ، والتي ألف من أجلها أرستوفان ملهاته (محاكمة يوريبيدز) أو Thesmo-phoria-zusæ

يفر جاسون مع زوجته وولديه إلى كورنته حيث يحل ضيفاً على ملكها كريون العجوز الشيخ الذي لا نسل له إلا فتاة بارعة الجمال ... ويكرم الملك مثوى ضيفه الذي طبقت شهرة شجاعته الآفاق ثم يسر إليه أنه يرغب في أن يتخذه ولداً ويزوجه ابنته على شرط أن يقطع ما بينه وبين زوجته ميديا الساحرة ابنة ملك البربر ... ويتردد جاسون ثم يقبل عرض الملك ، لكنه يبقي الأمر سراً بينهما حتى يدخل بزوجته الجديدة ، ثم يرسل الملك بعض جنوده للقبض على ميديا التي تكون قد عرفت كل شيء ، وقهرها على مغادرة كورنته هي وولداها .. وتحتال ميديا فيمهلها الملك يوماً واحداً حتى تأخذ أهبتها للسفر ، ثم تحتال فيلقاها جاسون حيث يفرغ كل ما في سريرته للآخر ، ويكلمها جاسون في برود وتكلف ، وتخاطبه ميديا في ازدراء وخشونة وأسلوب كله تبرم وتمن ... ثم يلقاها مرة أخرى فتبدو كأنها غفرت له كل شيء أو كأنها نسيت كل شيء ، ثم تسأله أن يذهب هو وولداها إلى زوجته الجديدة بهديتها التي يسعدها جداً أن تتقبلها من امرأة محطمة كسيرة القلب مهيضة الجناح ، فيهش جاسون ويذهب بالهدية وهي ثوب من دمقس وحرير منتقل فيقدمها لزوجته التي تفرح بها ... لكنها ما تكاد تلبس الثوب حتى تحس بإبر الموت تمزها وتنفذ بالآلام المبرحة إلى نخاعها .. أواه .. إنه ثوب مسموم احتفظت به ميديا لمثل هذا اليوم !! لقد ثأرت ميديا لنفسها كما ثأرت لكبريائها .. لقد ماتت الزوجة التاعسة من برحاء الألم ! ... لكن ميديا لا تكتفي بهذا الثأر يقع على فتاة بريئة أو قد تكون بريئة ... إنها تذهب في ثأرها إلى أبعد حدود القسوة البشرية وأشقها ... لقد قتلت أخاها أبسترتوس ومزقته إرباً ورمت بأشلائه في البحر لتعرقل أباها من أجل جاسون وفي

سبيل حبه ... فلماذا لا تقتل ولديها نكاية فى أبيهما ، ومبالغة فى تمزيق قلبه ؟! ... يا للثأر ؟ !

ويعلم جاسون بما انتوته فيسارع لإنقاذ الطفلين ... ولكن! وا أسفاه ! لقد ذبحتهما الشقية ! وها هو ذا جاسون يقف على جثتيهما باكياً محطوم القلب مشبوب الجوانح بالحزن الذى ليس مثله كد ولا حزن

وفى هذه الثورة تبتسم ميديا ... وتزدرى جاسون ... ثم تركب تنينها السحرى فيطير بها فى الفضاء تاركة وراءها الزوج الشقى والجثتين الحبيبتين !

ثارت الأثينيات على يوربيدز بعد هذه المأساة ثورة جامحة لأنه صرح فيها بأن ميديا صورة من بنات حواء جميعاً ، وأنه ليس فيهن من يفضلها قط ، وأن كل امرأة تصنع من أجل لذتها أسوأ مما صنعت ميديا التي خانت أباها فى كنزه ، وذبحت أخاها وولى عهده ، ونفرت مع عدوه ، ثم مكرت ببنات بلياس فهيأت لهن قتل أبيهن ، ثم لم تتورع من أن تقتل طفليها غير آبهة ببكائهما الذى كان يفتت الصخر لا الكبود وذلك لتتم لها اللذة المجرمة الفاتكة ، لذة الانتقام ، كما تمت لها خلال الآلام والنكبات لذة الحب ...

وكان يوربيدز بارعاً فى جميع دراماته التى شن بها حربه السيكلوجية على المرأة والتى سنعرضها فى الفصول التالية ، فأنت لا تقرأ له دراما من تلك الدرامات إلا وتنتهى منها إلى الرثاء للمرأة مهما تكن شريرة عاتية ، بل ربما أعجبت بهذه المرأة الشريرة العاتية وشعرت بالعطف عليها ، وتمنيت لو كانت خاتمتها خيراً لولا ذلك الأسلوب البارع الذى يسلسل فيه يوربيدز حوادث مآسيه ، والذى يقتضى تلك الخواتيم التى لا يكون محيص منها ما دامت الحوادث تتسلسل هكذا !

لقد جعل أرستوفان من يوربيدز موضوعاً لكثير من مهازله . وقد حفظ لنا الأثر ثلاثاً من هذه المهازل كلها عن يوربيدز ، وقل أن تجد لأرستوفان مهزلة غير هذه الثلاث لم يتعرض فيها ليوربيدز بنكتة أوغمزة أو سخرية ... وكان يوربيدز يتألم أشد الألم وأبلغه لسخرية الشعب به ، وتهكمه على أفكاره ، حتى إذا طفح الكيل ، لم ير بدا من الهجرة إلى مقدونيا كما سيمر بك .

دريني خشبة

العـــالم

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضـــلة « الزهرة »

يسير الطير على هيئته ، ويمشى على رُود لطيته ويغذ الشر فى سيره الحثيث على أوفاز ، ويختلك فى عدْوه ، كيش الإزار ، فتزلزل الأرض من وقع فيالقه الشهباء ، وتسمع الجلبة والقعقعة فيقال :

إن العالم يزداد انغماساً فى المعاصى والسيئات ، ويوغل فى ارتكاب كل محظور ومحرم ...

* * *

ولكن هذا ليس بصحيح ، لأن الفضيلة تتريث فى مسيرها وتتئد فى خطوها وتنثر بذورها بيد التمهل والتروزن

فى حين ينفض الإثم أجواز الأمصار مطلقاً أوزاره التى تستفيض هيمتها المنكرة فى الأقطار ، ويطير ذكر سوءتها الفاضحة فى الآفاق ، فتنصت لها الأصداء ، وترجعها الأنجاد ...

* * *

وكما أنه ليس ثمت ريب فى أن الأرض تتحرك وتدور حول الشمس المضيئة

كذلك نعلم أنه لا بدّ أن يتم الله تعالى أمره الذى يقضى : بأن يُصلح شأن جميع الجنس البشرى

* * *

وعلى الرغم من جيشان أمواه الشر ، وارتفاع هديرها ، وغزارة طموها ، فإن حصيد الحق الذهبى ينضج بسرعة ، وتسطع أنوار سافره الباهرة ، وتكسف بسناها شموس الماضى فترتفع بأفكار الناس إلى كبد العلاء وتصيرها أرق مما كانت ...

* * *

إن الذى يسير موغلاً قد يقرأ هذه الحقيقة التى أوردها قائلة :

اعلم أن الإثم يتجول راكبا عربة ترتفع لعلعة عجلاتها الصاخبة فى الحزون والسهول

فى حين يذرع الصلاح فراسخ السماء ، ويسلو رونقه حين يطل من محرابه النقى على أرض الشقاء ، متألقاً تألق النجمة الزهراء

فيترقى العالم كل يوم فى معارج السمو والارتقاء ؟

خواطــــر

للأستاذ فليكس فارس

لا أعلم ماذا عنى واضع تعبير الشعر المنثور ، ويخيل إلىّ أن هذا الترتيب المستحدث فى اللغة العربية إنما ترجم حرفيًّا عن « فير ليبر » بالفرنسية ؛ غير أن المترجم التوى عليه المعنى لظنه أن كلة « فير » تترجم بكلمة « شعر » فى حين أنها لا تعنى إلا المنظوم من الكلام بوزن وقافية . ولا أرى فى العربية ما ينطبق على هـذا التعبير الفرنسى إلا « النظم المنفرط » أو حل الشعر وإطلاقه من وزنه وقافيته لإرساله نثراً ، وذلك ما يكلفه التلامذة لتسهيل فهم الشعر عليهم ولتعويدهم سبك المعنى الواحد على صور متعددة .

أما « الفيرْ ليبر » فى الأدب الأوربى فليس إلا بدعة جاء بها المتأخرون كما جاءوا بأنواع الرسم المكعب والشعر المستغرق فى الرمزية ، وما هى على ما أعتقد إلا ظاهرة لتقلص الأعصاب فى المدنية المتعبة

وإننى لأعجب للأدباء فى الغرب يضعون كلة « فير ليبر » ولا يفطنون لما فى مبناها من التناقض، فإن النظم مقيد إلزاماً، فإذا أطلق من أوزانه خرج عن صفته وأصبح نثراً

إن البيان من الفكر كلام، ومن العواطف نغمات؛ والنظم معلق بين الكلام والنغمات ، يتناول من الأول نتاج الفكر، ومن الثانى خطرات الهوى ؛ غير أنه أقرب إلى القلب منه إلى الدماغ ، لأنه لا يقوم على حجة ودليل ، بل يخاطب ما انطوى فى السرائر وما يطمح الناظم إلى وضع مقدمات لاستخراج ما يريد استهواءك إليه ؛ إذ حسبُه من بيانه أن ينفذ إلى ما استقر فيك من مقدمات إن خلت سريرتك منها انزلق عليك بيانه فإذا أنت ضاحك من بكائه ، مستهزئٌ بشجوه وتحنانه

ما النظم المنثور الذى يسمونه شعراً منثوراً إلا بيان حائر ، بل هو جنين تمخض به الخيال وضعف عن مدّه بالتكامل فلفظه مسخاً لا يصلح للحياة

إن للنثر أوزانه الخفية وبحوره التى لا ساحل لها ، وللنثر الناضج موسيقاه المطلقة كأمواج البحر تتتالى ولكل موجة شكلها وتعاريجها . ذلك لأن خطرات الفكر نبضان لا يتكرر على وتيرة واحدة فى الدماغ ، فى حين أن النظم وهو صورة نبضان القلب لا يطلق موسيقاه إلا على نظام الوحدة فى تكرار ضرباته

ولعلك إذا نظرت إلى هذه الأشرطة التى تطبع عليها كهرباء القلب صورة خفقانه يدهشك منها ما تمثله لديك من أبحر الشعر فى أنواعها ، فمن القلوب ما تبسط على الرسم البحر (الطويل) فى هدأتها ، ومنها ما تصور البحر (المتدارك) فى ثورتها ، ومنها ما حلا لها كبعض أدباء هـذا الزمان أن تمسخ نظمها نثراً فتراها تأتيك بالطويل والقصير والرجز والمتدارك متداخلة متراكبة ، ومثل هذه القلوب قد استنفدت كهرباءها وآذن اختلالها بقرب انصداعها

* * *

من غرائب التقليد فى هذا الزمان أن يترجم لنا بعض أدبائنا قصائد أو مقطوعات من منظوم الفرنجة فيأتوا به صورة طبق الأصل فى ترتيب السطور ؛ فهم يصلون الجملة حيث يجب قطعها ، ويقطعونها حيث يجب وصلها ، جرياً مع الناظم الذى حكم الوزن والقافية على ترتيبه ، وهم لا يفطنون إلى أنهم مطلقون فى ترجمتهم من كل وزن وقافية

ما وقع نظرى مرة على هذه المنظومات المترجمة وقد كتبت بشكل قصيدة وليس فيها من إلزامات القصائد شىء إلا وحسبتنى أرى سابحاً يخرج من البحر ويستمر على دفع الهواء بيديه كأنه لا يزال يسبح على اليابسة ويخشى الغرق ورجلاه ثابتتان عليها ...

وأغرب من هذا ، بل وأنكى ، أن تقرأ لبعض المجددين ... شعراً منثوراً ... تتوالى سطوره وفى كل سطر أربع إلى سبع كلمات نضدت على سلك لا وجود له إلا مخيلة الكاتب ؛ فهو مضطر ولا أدرى لماذا ، أن يقطع جملته إذا بلغت الخمس أو السبع ليستطرد الكتابة فى السطر الثانى ، وليس بوسعه أيضاً أن يقف بجملته حتى يتم معناها إذا كان لم يزل لديه متسع من القياس الذى انطبع فى ذهنه من تلاوته قصيدة ترجمت على هذا الشكل عن أحد كبار الشعراء

وقى الله الأدب العربى من آفات التقليد والمقلدين !

« الاسكندرية » فليكس فارس

حيـــاة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الإسلامية

للمستشرق الإنجليزي توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوي، محمد الدسوقي، عبد العزيز عبد المجيد (١)

بهذا الحماس وذلك الجد تقدمت الدعوة الإسلامية حتى لم تمض على الإسلام سنة هناك (في المدينة) إلا وكانت كل أسرة عربية قد سامحت بدخول بعض أفرادها في حوزته، ماعدا شعبة واحدة من بني الأوس وهي التي استمرت منعزلة بعيدة عن الإسلام وذلك بتأثير أبي قيس بن الأسلت الشاعر

وفي السنة التالية حينما جاء موسم الحج وفدت إلى مكة طائفة من معتنقي الإسلام حديثاً، وعددها ثلاثة وسبعون رجلاً، ويصحبهم جماعة من مواطنيهم كفار يثرب، وقد عهد إلى هذه الطائفة أن تدعو محمداً (ص) إلى أن يلجأ إلى يثرب تجنباً من غضب أعدائه، وأن يبايعوه على أنه رسولهم وقائدهم، وفد إلى مكة لهذه المناسبة العظيمة كل معتنقي الإسلام الأولين الذين كانوا قد لاقوا الرسول من قبل في الموسمين السابقين، ومعهم مصعب ابن عمير معلمهم، فأسرع على أثر وصوله إلى الرسول، وأخبره بالنجاح الذي لاقته بعثته. ويقال إن أمه لما سمعت بقدومه بعثت إليه رسولاً فقال له: « أيها الابن العاق، أتدخل مدينة فيها أمك من غير أن تبدأ بزيارتها؟ » فكان جوابه: « كلا، إنني لا أزور منزل أحد قبل رسول الله ». ثم ذهب إلى أمه بعد أن فرغ من تحية الرسول (ص) والتحدث إليه؛ فقالت له أمه زاجرة: « إنك إذاً لا تزال خارجياً منشقاً ». فقال: « أتبع رسول الله ودين الإسلام الصحيح ». فردت عليه قائلة: « أقانع أنت بطريق الشقاء الذي انتهجته في الحبشة وفي يثرب؟ ». أدرك حينئذ أن أمه تفكر في أمر سجنه فخاطبها متعجباً: « ماخطبك؟ أتكرهين إنساناً على أن يتادر دينه؟ إن كنت تدبرين أمر سجني فإني سأقتل أول من يضع يده علي ». فقالت له: « أخرج إذاً من عندي » وأخذت تبكي. فتأثر مصعب لذلك وقال: « أماه. حذي مني نصيحة المخلص: إشهدي أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله ». ولكنها أجابته بقولها: « والنجوم اللامعة، لن أكون قط حمقاء بدخولي دينك. إنني أنفض يدي منك ومما أنت فيه، وأعتصم بعقيدتي »

وكان قد ضرب موعد ليجتمع سراً بالعقبة من أسلموا في العام الماضي وذلك لكيلا يثيروا حولهم شبهات القرشيين أو عداوتهم؛ وجاء محمد ومعه عمه العباس الذي كان لا يزال وثنياً حينئذ ولكن سمح له أن يحضر هذا الاجتماع السري. افتتح العباس هذا الاجتماع الجليل موصياً بابن أخيه، ومشيراً إلى أنه ينتمي إلى أسرة من أشرف أسرات قبيلته التي وإن كانت لم تقبل تعاليمه إلا أنها ما زالت تحميه؛ أما وقد أبى إلا الانحياز إلى أهل يثرب واللحاق بهم فإن عليهم أن يتدبروا الأمر بحكمة قبل أن يأخذوا العهد على أنفسهم، وأن يصمموا ألا ينكثوا عهدهم متى قبلوا تحمل هذا الأمر الخطير، فاحتج البراء بن معرور الخزرجي قائلاً: إنهم واثقون من عزمهم على حماية رسول الله، وتوسل إلى العباس أن يذكر ما يريدهم أن يعاهدوا الرسول عليه

بدأ محمد يقرأ عليهم بعضاً من القرآن، ويحثهم على أن يصدقوا في دينهم الذي اعتنقوه من وحدانية الله ونبوة محمد رسوله، ثم سألهم بعد ذلك أن يمنعوه وأصحابه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: « نعم! والذي بعثك بالحق لنمنعك كما نمنع أنفسنا، ونعاهدك على طاعتك، وأن تكون لنا هادياً. فنحن أبناء الحروب، وأهل الحلقة(١)، ورثنا كابراً عن كابر ». وهكذا أخذ الجميع يد الرسول واحداً بعد آخر، وبايعوه على الطاعة.

ولما علمت قريش بهذا الاتفاق السري عادت إلى اضطهاد المسلمين مرة أخرى، فنصحهم الرسول أن يهاجروا من مكة، وقال لهم: « اخرجوا إلى يثرب فإن الله قد جعل لكم إخواناً في تلك المدينة، وداراً تأمنون بها » فخرجوا إلى يثرب أرسالاً، حيث لاقوا إكراماً عظيماً، وكان إخوانهم في الدين من أهل يثرب

(١) أنظر العدد ٣٠١

(١) بفتح فسكون: السلاح أو الدرع فقط

تتنافسون فيه بينهم، كل يريد أن يحظى بشرف الإكرام، ويقدموا لهم ما يحتاجون . ولم يمض شهران حتى هاجر من مكة تقريباً كل المسلمين — وقد بلغ عددهم مائة وخمسين — اللهم إلا أولئك الذين قبض عليهم أو سجنوا ، وأولئك الذين لم يستطيعوا الخلاص من الأسر . وتحدثنا الأخبار عن أحد أولئك المسلمين — صهيب — الذي لقبه الرسول « بأول ثمرات اليونان » (ولقد كان عبداً إغريقياً أعتقه سيده فجمع ثروة عظيمة بطريق تجارته الرابحة) . وذلك أنه لما عزم صهيب على الهجرة من مكة استوقفه أهلها وقالوا له : « أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك » فقال لهم صهيب : « أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ » قالوا : « نعم » ، وهاجر هو تاركاً كل ثروته . ولما بلغ محمداً صلى الله عليه وسلم الخبر قال : « ربح صهيب ، ربح صهيب »

أخر محمد صلى الله عليه وسلم هجرته من مكة — قاصداً بذلك ولا ريب أن يصرف أنظار أعدائه عن أعوانه المخلصين — حتى تنبه إلى مؤامرة مدبرة ضده ، وأدرك أنه إن أبطأ في الهجرة ربما قضي عليه ، فعمل على الهجرة بحيلة

وكان أول ما فعل بعد أن وصل إلى يثرب أو المدينة كما سميت بذلك منذ تلك[1] الحادثة (مدينة الرسول) أن بنى مسجداً ليكون مكاناً للعبادة ، وموضعاً لاجتماع أتباعه ، وكان المسلمون أولا يولون وجوههم شطر بيت المقدس ، وربما كانت هذه سياسة اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم لاكتساب اليهود . وقد حاول محمد (ص) بطرق أخرى مختلفة أن يجتذب إليه اليهود ، فقد أمر باحترام كتابهم المقدس ، ومنحهم حرية العبادة ، والمساواة في المعاملة ، وحاول أن يصافيهم ولكنهم قابلوا كل ذلك بالتحقير والتسفيه . ولما أصبح الأمل في إدماجهم في الإسلام عقيما واتضح أن اليهود لن يعترفوا بمحمد (ص) رسولاً لهم ، أمر محمد أتباعه أن يولوا وجوههم في صلواتهم شطر الكعبة بمكة (قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون ، ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ؛ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين)

ولقد كان لتغيير القبلة في الصلاة مغزى أعمق مما يظهر لأول وهلة ، فقد كان ولا شك مبدأ حياة جديدة في الإسلام . إذ أصبحت الكعبة في مكة المركز الديني لكل المسلمين كما كانت منذ الأبد مكان الحج لكل قبائل جزيرة العرب . وهناك مغزى آخر شبيه بالسابق في أهميته ، وذلك هو إدماج عادة العرب القديمة — الحج إلى مكة — ضمن ما افترضه الإسلام وذلك لأن الحج فرض على كل مسلم مرة واحدة على الأقل في العمر

وفي القرآن آيات كثيرة تثير روح الشعور بالتكوين القومي وتحث العرب على أن يقدروا الميزة التي منحوها بإنزال الرسالة الإلهية بلغتهم وعلى لسان واحد منهم

« إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » وكذلك أوحينا إليكم قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها ، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير » ، « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ، ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون ، وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً »

(يتبع)

(١) يعني بالحادثة الهجرة

لما رأيته رأيت القدر

(مهداة إلى «علاء» الصغير)

للآنسة جميلة العلايلي

عند ما يبتسم يتكلم القدر من بين شفتيه، وعند ما ينظر ليتأمل تشع الفلسفة من عينيه، وعند ما يتحرك تعلن الحياة معانيها فى أسلوب رمزى فاتن

هكذا كان طفلى الحبيب «علاء» عند ما شاهد فلم «آلام فرتر»، وقد رأيته على غير ميعاد وعرفته دون سابق معرفة ...

إنما فهمته كأنى جالسته الأعوام الطوال، وعاشرت روحى روحه الأجيال ... جذبت روح الطفل بسماحتها وحلاوتها روحى التى تشرئب دائماً إلى الصفاء الصرف والنقاء الأكيد ...

وهل يمكن أن يأخذ الصفاء مكانه إلا فى معين ذلك الطفل الصغير؟ كنت أحاول أن أطالع فلسفة الحياة من عينيه، فكان يول وجهه ويسبل أجفانه. فهل كان يدرى أن الحقائق الأكيدة المسجلة فى أم الكتاب مرقومة واضحة فى مقلتيه؟ هل كان يدرى أن معانى الخلود مرسومة على شفتيه؟ هل كان يدرى أن أسرار الوجود منقوشة كظلال من النور على جبينه؟

هل كان يدرى ذلك الطفل الصغير؟

كان يسأل والده الذى احتضنه بجوانحه، وحباه بعواطفه، كلما تراءت له عواطف الإنسانية فى شبه صور متحركة: ما هذا؟ ولم هذا؟

وكان يجيبه الوالد فى إيجاز عن الاسم والسبب

ويا للفارق الهائل بين فلسفة الصغير وفلسفة الكبير!

الصغير يعرف ويجهل، والكبير يجهل ويعرف! ...

يا حبيبى البرىء، يعلمك الوالد عند ما يقول لك: الحياة أمامك. مع أن الحياة فيك ...

لا تتكلم يا حبيبى ودعه يفهمك لتعرف أن الحياة تشوه العقل الفطرى بأباطيلها ...

أنت الفيلسوف الحكيم، وأنت العاطفة المثالية العليا ...

إنك تفهم أمك، وتفهم والدك، وتحسب أنهما شغلك فما رواءك وفلسفتك فتخاطبهما بأسلوبك الرمزى فى إيجاز ...

يا حبيبى البرىء ...

ما زلت تعيش فى سماء الإنسانية وترقب الحياة على ضوء ذهنك الخلاب راجيا أن تسير عجلة الحياة بأمضى سرعتها لتكون رجلاً مثل من سعد بحظ أبوتك، فهل تعرف ياصغيرى ما يحمله عقل ذلك الرجل الذى دعوته فى لطف وحلاوة باسم «الجدع»؟ هل تعرف ياصغيرى أنك بطفولتك النقية الملائكية أعظم منه برجولته المعقدة الآدمية؟

هل تعرف أنك كلما زدت فى أعوام عمرك عاماً نقصت من إدراك حقائق الوجود أعواماً مهما قالوا إنك غنمت؟ ...

هل تعرف أنك بقلبك الصغير الملىء بالحب العف الطهور، أجل منك بقلبك الكبير الملىء بالحب المادى الزاخر بأباطيل الوجود؟

هل تعرف أنك أحب إلى قلب أمك وأبيك من كل حبيب؟

وغداً عند ما تكبر يحاسبك الوالد بميزان العقل، ويراك نداً له، فيحبك إذا أوليته من نفسك قدر ما تطمع إليه عاطفته، ويمقتك كأى شخص غريب إذا خالفته وخرجت عن تقاليده وأوضاعه؛ والصلة الروحية الوثيقة التى يقبض على زمامها ملاك الأبوة فى الصغر يتهاون فى شدها رويداً رويداً لتشعر بأنك فرد لك حريتك وسلطتك وقلبك وعقلك ولا شأن لك بأمك أو أبيك ...

هذه هى مرحلة السعادة الأكيدة التى يقضيها الإنسان فى حياته ...

سعادة الطفل بحب أبويه كاملاً

وسعادة الأهل باستسلام الصغير ...

اليوم لا يحب الطفل غير أبويه، وغداً يحب ويحب ويحب، وقد يكون الأهل أول ضحية تقدم على قربان الحب الذاتى

واليوم يحب الوالد طفله، وغداً يتلاشى الفارق بينهما وتؤدى المساواة رسالتها، وقد يكون الابن أول من يحاربه الوالدان تحت تأثير عثرات أباطيل الحياة ليقيم لنفسه وزناً فى عالم لا وزن له ...

يا طفلى الحبيب ... تمنيت لو أحفظ لك طفولتك وأدفع الثمن من دمى ، لأحفظ للإنسانية روح الصدق والحب والطمأنينة والسلام ...

اليوم لن تفهم ذلك الأسلوب الذى تعارف عليه الناس وأسموه أدباً لأنك لا تؤمن بغير أسلوب روحك الرمزى النقى ... وغداً عند ما تصقلك الحياة وتعريك أضواء الوجود ... تفهم وتدرك

وسوف تقول : ليتنى ظللت طفلاً لأنعم بحب أبوى الشامل وأحرك المشاعر بأنغامى العطرة ، وأسيِّر الأقلام بإلهامى ... ليتنى ... ليتنى ...

ولكن هيهات ...

فبعد أعوام ... أسمع عنك وقد أراك ، فأجد الحياة المادية تسيرك ، وألمح روح الحياة العلوى ينسحب فى بطء وحسرة ليتقمص كيان وليد جديد ...

أدام الله لك قلبك بعاطفته البريئة النقية ... ولتتصرف الحياة فى كل ما تملك ... عدا قلبك ... عدا قلبك ... لتكون كأبيك تحب لتخلد ...

لما سألت والدك: لم مات فرتر؟ أجابك: لأنه أحب وأخفق. فابتسمت ابتسامة عميقة أعمق من فلسفة الوجود لو ارتسمت فى شبه بسمة وقلت : «يعنى لما الواحد يحب واحدة ولا تكونش مراته يموت» ، فضحك وقال : أجل

فهل علم الوالد أنك تفهم أكثر منه وأنك تضلله بسؤالك آه . . . لو قال لك : إنه مات لأنه جعل الحب غاية ، وكان يريد أن ينتصر فى المعركة ، فلما انعزل وجد الموت مع الكرامة أشرف من الحياة مع المهانة ، لو قال ذلك . . . لارتسمت تلك الحروف فى ذهنك مدى الأعوام ولصرت بطل جيلك . . .

يا صغيرى الحبيب !

إنى أتوسم فيك سمات البطولة

وألمح فى عينيك شعاع المجد المرتقب

وأرى حركاتك بشير الصراع الحيوى الشريف . . .

فعش لأبيك ذكرى خالدة ، ولوطنك شعلة الحب والحق والحرية . . .

جميلة العلايلى

من تاريخنا النسوى

أستاذة الصحابة

للأستاذ سعيد الأفغانى

سلخت سنين فى دراسة السيدة عائشة كنت فيها حيال معجزة لا يجد القلم إلى وصفها سبيلاً . وأخص ما يبهر فيها : علم زاخر كالبحر بعد غور، وتلاطم أمواج، وسعة آفاق، واختلاف ألوان . فما شئت إذ ذاك من تمكن فى فقه أو حديث أو تفسير أو علم بشريعة أو آداب أو شعر أو أخبار أو أنساب أو مفاخر أو طب أو تاريخ . . . فإنك واجد منه ما يروعك عند هذه السيدة ، ولن تقضى عجباً من اضطلاعها بكل أولئك وهى لا تتجاوز الثامنة عشرة

ولست بسبيل بيان ذلك الآن ، وإنما أخبرك أنى وقعت وأنا أنقب فى كنوز المكتبة الظاهرية بدمشق على مجموعة خطية فى آخرها رسالة نفيسة للإمام بدر الدين الزركشى الشافعى المصرى قصرها على موضوع واحد هو : استدراكات السيدة عائشة على الصحابة

* * *

من خصائص المرء ذى الطبيعة العلمية أن يكون طُلَعة كثير السؤال ، لا يهدأ له بال حتى يرضى طمأنينته ويجلو لنفسه كل خفى مما يحيط به . وكانت السيدة عائشة بهذه الصفة ، ساعدها على بلوغ ما بلغت من المعرفة أنها ربيت فى حجر أبى بكر الصديق أعلم الناس بأنساب العرب وأخبار قبائلها وميزات بطونها ، فحازت من ذلك علماً كثيراً . ثم انتقلت إلى بيت الرسول ومهبط الوحى فكانت أقرب الناس من معين العلم ، فغرفت منه ما لم يتيسر لأحد غيرها لمكانها منه كزوجة ، ولما تفردت به من ذكاء نادر وفكر واسع . وكلما عظم حظ الإنسان من المعرفة كثر تطلعه إلى ما فوقه . أما الجاهل فليس يعنى أن يبحث أو أن يسأل ، فإذا أصاب من المعرفة حظاً بطريق العرض كان أبعد الناس من أن تطلب نفسه مزيداً أو تثير له شكوكاً أو تحدثه بسؤال يسأله

وقد أوردت السيدة على الرسول من الأسئلة فى كل ما مرّ بها من موضوعات : فى الفقه والقرآن والأخبار والنيات وأمور الآخرة ، وفيما يعرض له من أحداث وخطوب ، وما يفد عليه من وفود

الصفحة الأولى من رسالة الاجابة ، وهى من أثمن ما فى قبة الملك الظاهر بدمشق لأنها مسودة للمؤلف بخطه نفسه

وبعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم ، كان علم عائشة قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج فى كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه ...

ومع حمل الأصحاب إلى الأمصار طائفة صالحة من الأحاديث والأحكام حتى كانوا ثمة مرجع طلاب العلم ورواة الحديث ، بقيت المدينة – لأسباب أهمها وجود عائشة – دار الحديث ومنبع العلم . فحين يشكل على أهل الأمصار أمر من الأمور ، يكتبون إلى أصحاب رسول الله فى الحجاز يسألونهم عن حكم الله فيه ، فكان هؤلاء إذا فاتهم علم شىء رجعوا إلى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو وعروة وابن الزبير ... تروى عنهم الأحاديث وتنشر الأحكام حتى صاروا مقصد الرواد . ومقام السيدة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذه ، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كل ما تعلق بأحكام النساء أو بأحوال النبى البيتية ، لا يضارعها فى هذا الاختصاص أحد من الرجال ولا النساء

ويصل إلى مسمع السيدة عن أولئك العلماء روايات وأحكام على غير وجهها ، فتصحح لهم ما أخطئوا فيه أو خفى عليهم ، حتى عرف ذلك عنها ، فصار من شك فى رواية أتى عائشة سائلاً ، وإن كان بعيداً كتب إليها يسألها . ومن هنا طار لها ذلك الصيت فى التمكن من العلم ، ورجع إلى قولها كبار الصحابة كأبيها أبى بكر وعمر وابنه وأبى هريرة وابن عباس وابن الزبير ... وصار معاوية فى خلافته يكتب إليها سائلاً عن حكم أو حديث أو شىء من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يطمئن إلى يقين مما يسمع من غيرها حتى يرد عليه جوابها فيبرد صدره[1] .

وستجد أن خطأ الصحابة كثيراً ما يرجع إلى أنهم حضروا آخر الحديث وفاتهم أوله ، وسترى فى كل ما تستدرك : صحة النظر وصواب النقد وحضور الذهن وجودة النقاش . وأغلب الأسباب فى تخبط الروايات أن الرواة يستنبطون الحكم من الجملة التى حضروها . وكثيراً ما يكون الرسول ذكرها فى معرض حكاية أو إنكار ، وترى ذلك فى مرويات أبى هريرة خاصة .

الصفحة الأخيرة من رسالة الاجابة ، وفيها سماع ولده عليه وسائر أسرته

وكما استدركت على أبى هريرة ضياع أول الكلام عليه أو آخره ، استدركت على كثيرين فهمهم لحديث ، أو خطأ استنباط حكم من آية ، أو ضلالاً فى معرفة أسباب النزول ، أو اجتهاداً فيه مشقة على الناس ، وكان الناس يقعون منها فى كل ذلك على علم غزير وفهم حصيف ورأى صائب ، ولا غرو فقد

(١) انظر مسند أحمد ج ٦ ص ٨٧

كانت السيدة عائشة الملجأ الأخير الذي ترفع إليه مسائل الخلاف والروايات وأحكام الشريعة لتمحيصها والقضاء فيها القضاء الفصل

ومن هنا ترى أن حياة السيدة قد بنت مجداً باذخاً لتاريخ المرأة العلمي في الإسلام ؛ بل إن عبقريتها وحدها كفيلة بملء تاريخ كامل ، فلست أعلم في عبقريات الرجال والنساء ما يداني مكانة السيدة . وما أجدر سيداتنا — ونحن في مطلع بعث ونهضة — أن يصلن حلقات هذا التاريخ الذي بدأته امرأة منهن في صدر الإسلام ، تختلف عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حبر وعالم وفقيه وقارئ وراوية ، وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك ، وليس هذا بكثير على من عبرت نحواً من خمسين عاماً بعد وفاة الرسول تنشر سنته وتفتي وتحدث وتستدرك ، حتى كونت لنفسها مدرسة من أقوى مدارس الحديث والفقه والتفسير وأوسعها[1]

« دمشق » سعيد الأفغاني

(١) من مقدمة (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) للإمام الزركشي ، وستصدر أول الشهر القادم محققة حافلة بالتعاليق والفهارس . تطلب من المكتبة الهاشمية بدمشق ومكتبة البابي الحلبي بالقاهرة

الشام يتطلع إلى حدودنا الغربية

أربعـــــون يوما في الصحراء الغربية

للأستاذ عبد الله حبيب

— ١ —

في هذه الأيام يتجاوب البرق في أنحاء العالم بذكر حدود مصر الغربية وتتطلع الدول إلى ما يجري في هذه الحدود من التحصين والاستعداد وتحرك الجيوش من الجانبين : المصري والإيطالي . وقد ارتحل المحرر إلى هذه الأنحاء النائية فقضى بها أربعين يوما ، وهو في هذه المقالات يصف مشاهد الصحراء الطريفة ويحدث إلى القراء بأنفع المعلومات في أسلوب سهل موجز

سحر الصحراء

في مثل هذه الأيام من العام الماضي كان الربيع قد أطل على الوجود بوجهه المزدهر الباسم — وفي الربيع تتجاوب الذكريات — فذكرت فيما ذكرت رحلتي الأولى إلى الصحراء الشرقية ، وتمثل في خاطري سحر الصحراء وما يلقى المرتحل إليها من عناء هو أحب إلى النفس من الراحة والدعة والاطمئنان

ذكرت رحلتي تلك إلى صحراء سيناء فتطلعت نفسي إلى رحلة ثانية أرتحلها إلى الصحراء الغربية

ومحافظ الصحراء الغربية صديق قديم ، وهو من رجال السيف والقلم يجيد الأدب ويحب الأدباء ... فلتكن رحلتي الثانية إليه . وفي رحابه ومعونته سأجوب الصحراء وأرتاد نجوعها وأنزل على قبائلها ، وأشرف على هضابها ، وأهبط إلى وديانها ، وأقطع شعابها ومفاوزها

هتف بي سحر الصحراء ودعاني فلبيت ...

ولقد كان للعرب من قبل — كالمقريزي والمسعودي واليعقوبي وأبي الفداء وغيرهم — شرف السبق في ارتياد الصحاري واجتياز مجاهلها مستهدفين لأخطارها في وقت لم يعرف عنها غيرهم إلا النفر اليسير ؛ وكانت هذه الصحاري — ولا تزال — سراً مجهولاً مهما قال عنها العارفون .

وفي رمال الصحراء المنبسطة ، وهدوئها الشامل ، وعظمة جبالها الشامخة ، وفي صفاء سمائها ، وجلال نورها ، وفي لياليها الساحرة ؛ في هذا ، وفي أروع من هذا ما يخلب لب روادها ، ويجذبهم إلى ارتيادها ، وفيه ما يغري النفس بالتغلب على وعورة طبيعتها ليشعر بعد ذلك بلذة الانتصار والغلبة .

أما ساكنو هذه الصحاري من البدو ، وما فطروا عليه من بساطة العيش فإنك تدرك حين تخالطهم سر عقليتهم وبعد نظرهم وبساطة حكمهم ، وحلاوة شرائعهم ومعرفتهم للنجوم ، واتجاهاتها وهبوب الرياح وعلاماتها وأوقاتها ، وتدرك على الجملة سر سيادتهم على هذه الصحاري وجعلهم أدلتها .

وفي هذا المقال سأتحدث إلى القراء في كلمات وجيزة عن المعلومات التي يجب على كل مصري معرفتها في وقت يهتم العالم فيه بهذه البقاع التي تقع في داخل حدودنا المصرية .

لغة البدو وديانتهم ومعارفهم

يتكلم البدو بلهجة عربية تختلف عن اللهجة الفصيحة اختلافاً بسيطاً ، ومن السهل أن يفهمها سكان المدن . وهم يكثرون

في كلامهم من ضرب الأمثال . أما ديانتهم فهي الإسلام . لكن القليل منهم من يعرف قواعده . وأكثرهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون، ولكنهم يعبرون عن العدد بأصابع اليد، ويعرفون فصول السنة والجهات الأربع ، ويجعلون مواعيدهم طلعة الهلال أو طلعة القمر .

لهم رشاقة القد ، وخفة الحركة ، وجمال العيون ، وذكاء النظرة ، وسمرة اللون ، وقلة شعر العارضين ، ودقة الأنف ، ولنسائهم ولع شديد بوشم الشفاه ، وهو عندهن آية الجمال

تقوم زراعتهم على الأمطار إلا في بعض الواحات وحول الينابيع والآبار، وهم يزرعون الشعير والأذرة والبطيخ والقمح أحياناً، ويصنعون البيوت من شعر الإبل والغنم وكذلك يصنعون منها ملابسهم وخيامهم، ويعتنون بتربية الإبل والخيل والغنم ويستولدونها ويتجرون بها كما يتجرون بالبلح والعجوة وهو محصول النخيل

يسكن البدو خياماً من الشعر يحيكها نساؤهم ويقيمونها على شكل ظهر الثور جاعلين أبوابها نحو الشرق . ويلبس البدوي قميصاً قصيراً فوقه آخر أطول ثم يلبسون فوق ذلك عباءة ، وذلك لباس متوسطي الحال منهم ، أما الطعام فالشعير والأذرة والقمح والأرز والبلح وما يمزج من الحليب والسمن والدقيق ، وهم يحبون أكل اللحم حباً مفرطاً ، وقلما يأكلون الأسماك

اشتهر البدو بحب الفضيلة والضيافة والكرم والغزو والنجدة والأخذ بالثأر والشجاعة وعزة النفس والشورى ، لكن فقرهم يفقدهم كثيراً من هذه الأخلاق ، ويحمل أكثرهم السيوف وهي محدبة وتحلى أغمادها بالفضة ، ويحمل بعضهم البنادق من الطراز القديم ، ويحمل رعاة الإبل « الدبوس » وهو عصا قصيرة في رأسها كتلة ، أما حليهم فهي العقود من الخرز والفضة ويلبسون خواتم ضخمة من الفضة والقصدير

أما خرافاتهم فكثيرة ، وهم يعتقدون في الإصابة بالعين ويعلقون الخرز في رقابهم ورقاب حيواناتهم [illegible] الحسد . وليس عندهم من آلات الموسيقى غير الربابة والصفارة والقرون « الزمارة » وهم يتقنون الشعر ، وغناء الرقص عندهم يقال له « الدحية » والسامر ، أما الدحية فهي أن يقف المغنون صفاً واحداً وبينهم



(مع زعماء العشائر : الحرور في ثياب البدو بين الأعراب)

شاعر يرتجل الغناء وأمامهم غادة ترقص بالسيف وهم يرقصون ويرددون ويهزون رؤوسهم يميناً وشمالاً بشكل منتظم . وأما السامر فهو تقريباً مثل الدحية فلا يختلف إلا في أن يقف الرجال على صفين متقابلين وأمام كل صف حسناء ومعها سيف للرقص به .

أما القضاء عندهم فموكول إلى قضاة من خواص رجالهم يحكمون بينهم بالعرف والعادة على أوضاع عديدة ، وأما محاكمهم فعلى درجات ثلاث ، وأحكامهم وشرائعهم لا يمكن حصرها في هذه السطور ، فلكل جريمة شريعة خاصة، وتسمى هذه الشرائع بروابط القبائل ومنها شريعة القتل وشريعة الجروح وشريعة النساء وشريعة الإبل

عبد الله (يتبع)

استطلاع صحفي

الأندية الأدبية في مصر

كازينو باب الخلق

لمندوب الرسالة

باب الخلق أو باب الخَرْق كما يسمى في الخطط القديمة ، ميدان يقع من القاهرة في الصميم ، وكأن الحكومة رأت فيه هذا المعنى ، فأقامت به دار المحافظة لتكون في الوسط لكل مواقع المدينة يخترق شارع محمد علي ، وهو مجاز المواكب الرسمية والعسكرية بين القلعة والعتبة، والقلعة والعباسية، والقلعة وعابدين. ويمر به الطريق الواصل بين الحسين والسيدة والإمام ، فما تكاد تنقطع منه جموع القرويين الذين جاءوا إلى مصر يوفون بالنذر لأهل البيت، ويستعطفون الأسياد بالنظرة . وفيه تقوم دار الكتب المصرية وهي كعبة يحج إليها طلاب الثقافة والمعرفة من أبناء الأزهر ، وشباب الجامعة ، وتلاميذ المدارس ، ومن في نفسهم الرغبة في الأدب والعلم من مختلف الهيئات وشتى الجهات ...

وكأن وجود دار الكتب في هذا الحي هو الذي صبغه من قديم بالصبغة الأدبية ، وجعله مهوى كثير من الشعراء والأدباء والصحافيين ، وكم لهم في هذا الحي من سهرات عامرة ، ومجالس حافلة ، وذكريات كلها البهاء والرواء ، والأدب والشعر ، والضاحيك الحلوة الخالدة ، وناهيك بضاحيك حافظ ونسيم وإمام العبد وصاحب « الصاعقة » ومنشئ « الحارة » وإخوانهم من الذين ذهبوا في الذاهبين ، أو تخلفوا إلى حين !

في هذا الميدان الأدبي العامر ، وفي المثلث الحادث من تقاطع شارع محمد علي بدرب الجماميز وأمام جامع الجين الذي لا أعرف إلا اسمه ، يقع كازينو باب الخلق . ولهذا الكازينو تاريخ قديم ، وذكرى غابرة ، فكل ما فيه من مظاهر الأبهة ، فهو طريف مستحدث ، تقضي به العصر ، وتطور به الزمن ، عن أصل كان هو المظهر السائد في مصر القديمة !

كان هذا الكازينو من قبل يسمى « قهوة باب الخلق » وكانت هذه القهوة بين غسق القرن الغابر ، وغلس القرن الحاضر ، نديًا من أندية الأدب في مصر ، على ما يحكي الصحافي العجوز ، فكان يجلس فيها الشيخ أحمد مفتاح ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ الحلاوي ، ومحمود بك أبو النصر ، وحفني بك ناصف ، والشيخ محمد الخضري ، تحيط بهم نخبة من طلاب الأزهر ومدرسة المعلمين الناصرية — أي دار العلوم — فيأخذون في أمشاج من أحاديث الأدب واللغة والدين والسياسة في بعض الأحايين .



ثم مضت الأيام ما مضت وقامت دولة مكان دولة واحتل القهوة الشيخ محمود حسن زناتي ، والشيخ طه حسين ، والشيخ أحمد حسن الزيات ، والشيخ ابرهيم مصطفى ، ومن على شاكلتهم من تلاميذ المرصفي والمهدي والشنقيطي ممن تمردوا على حواشي الأزهر ومتونه وهوامشه ، فلما شب عمرو عن الطوق انصرف كل إلى شأنه في الحياة وقد بقي في نفسه شيء من تلك الحياة . أما الدكتور طه فسخر بماضيه وتمرد على إخوانه وراح ينعتهم « بأدباء باب الخلق » زراية عليهم وغضاً من شأنهم . وأما صديقنا الشيخ محمود زناتي فما زال يذكر تلك الأيام بالخير ، وما زال يشتهي شطير الجبن والعجوة الذي طالما تناوله من يد عم أحمد — هو وصاحبه طه — في ذلك المكان . وأما أستاذنا الزيات فإذا ما سألته الخبر في ذلك نظر إليك ساهماً وهو يقول : تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . صحيح صحيح ! لقد كان ما كان !

ثم كان بين الغابر والحاضر فترة من الزمن للتحول والتطور ، فقد وفد على مصر وافد الرقي والحضارة ، وقامت في رؤوس القوم النية في تنسيق القاهرة وتجميلها ، وكان لا بد لباب الخلق من

أن يتسع فناؤه ويعلو شراعه وأن يصير إلى نظام أنيق يلائم روح العصر ، وكان لا بد أيضاً لقهوة باب الخلق أن تتطور وتتحور وأن تلبس لباس الجديد ، فأصبح اسمها الكازينو بدل القهوة ، وصار بناؤها من الزجاج الشفاف وقد كان قبل من حجر المقطم ، وغدت وهى فى عصمة شاب مصرى ناهض من صميم الريف وقد كان يقوم عليها تركى من الذين ابتلى الله بهم مصر حيناً من الدهر

واليوم يقوم الكازينو فى باب الخلق نادياً أدبياً يقصده كثير من الأدباء والشعراء ورجال الصحافة والفن ، فتجد السيد حسن القاياتى يهبط عليه فى الفينة بعد الفينة ؛ وإذ يجلس السيد القاياتى فإنما يحفل مجلسه بالأدب والشعر والرواية والتاريخ والمواليا والزجل ، وما ينفض المجلس إلا وقد تحمل الشيخ لحسابه ما ينوء به جيب الأديب . ولكن الله قد بارك فى جيب الشيخ

وبين الحين والحين يعرج على الكازينو صديقنا الأستاذ الشاعر أحمد الزين وهو عائد من عمله فى دار الكتب ، فإذا وجد موضعاً للحديث تحدث كعادته حديثاً شاملاً يتناول كل الأدباء والشعراء فى مصر ، وإلا أخذ فنجاناً من القهوة وانصرف فى صمت رهيب !

وفى ركن من الكازينو يجلس الأستاذ إسماعيل صبرى الشاعر ومؤلف الأغانى لشركتى أوديون وبيضافون ، فيظل فى مجلسه طول النهار وبعضاً من الليل منفرداً كأنه يستوحى شيطانه ويستلهم وجدانه . وفى ركن مقابل يجلس صديقنا الشيخ رفعت فتح الله فى جمع من إخوانه يحقق رأياً لسيبويه ، أو يحدثهم فيما كان بينه وبين الرافعى من مناظرة ، على كركرة النارجيلة ولعب الشطرنج

ولما مات الهراوى رحمه الله ، انفض سامره فى الحلمية ، ولم يتحمل إخوانه الجلوس حيث كان يجلس ، فجاء بعضهم إلى إلى الكازينو ، فتجد الأستاذ مرتضى الخطاط يجلس ساهماً شارداً كأنه فى غمرة من ذكر صاحبه

ويستبد بصدر الكازينو طائفة من شباب الأدب وفتيان العصر الذين أصيبوا بدائه وانطبعوا على غراره ، وما داؤهم إلا كما وصف ألفرد دموسيه فى اعترافاته ، فهم ينطلقون على سجيتهم ، ويستقبلون الحياة بروح يقظة طليقة متمردة على كل القوانين والحواجز ، وبهذه الروح الحرة يشدون الأدب ، وينظمون الشعر ، ويأخذون فى النقد ، وإنهم لفى ثورة دائمة على الأدباء فى مصر وفى الأقطار العربية ، ولقد ينقلبون بالثورة على أنفسهم ، كالنار تأكل نفسها إذا لم تجد ما تأكله ، ولكنهم يخلصون من هذا كله بالمرح والضحك والمزاح الصريح

تجد فى هذه الحلقة من الشباب ، شاعر الفنون والإذاعة أحمد فتحى ، وشاعر البؤس والشقاء المهدى مصطفى ، والشاعر البوهيمى طاهر أبو فاشا ، والشاعر النحوى الفقيه حسن جاد ، وشاعر البيت الأباظى أحمد عبد المجيد الغزالى ، والشاعر المقل أحمد مخيمر والأستاذ أحمد حمدى المحرر بالبلاغ والشيخ طه افندى حراز محرر مجلتى الراديو والبعكوكة ، والرفيقان عبد العليم عيسى والسيد علوش ؛ يجلس هؤلاء فى حشد من إخوانهم وأضرابهم من طلاب كلية اللغة العربية والجامعة ودار العلوم ، فينفض كل منهم ما فى جعبته ، ويتقدم بآخر ما أحدث فى الأدب والشعر ، وما من يوم يمضى إلا ولهم حدث فى الأدب والشعر ...

يعجبنى فى هؤلاء الفتيان ذوق دقيق ، وتقدير صحيح ، ونظر صائب فى الحكم على الآثار الأدبيــة ، ووضع الأشخاص فى مراتبهم اللائقة بهم ، فلا يجوز عليهم الزيف ، ولا تخدعهم الألقاب ، ولا تترجم الأسماء ، بل إنهم لينظرون ، ويتندرون ، بكثير من أعلام الأدب فى مصر ليسوا فى رأيهم بشىء ، ولكل فيما يحاول مذهب !

لهم شغف بالاطلاع ، فما يخرج كتاب من المطبعة حتى يكون فى أيديهم ، يقرأونه ويقدرون له قيمته ، وما أعرف بحثاً أو قصيداً نشر فى صحيفة أو مجلة قد فاتهم الاطلاع عليــه ، والنظر فيه ، فإذا لم يعجبهم كان بينهم مادة للهزء والضحك والمعارضة بالمثل !

ولهم غرام بترتيب المقالب ، ولكنها المقالب الأدبية ، كأن ينحلوا واحداً منهم قصيدة على صفحات الجرائد ، أو يسرقوا أشعار بعضهم المطوية ثم ينشروها بأسماء غير معروفة ، أو يوقعوا بين أديب وأديب فينشروا لأحدهما نقداً صارماً للآخر ، ولهم فى إبريل كثير من الأكاذيب ، ولكنها من الكذب الأدبى المقبول . ولقد كان كذبهم فى هــذا العام من النوع الطريف

العجيب ، علموا بأن فلانا الأديب قد أهدى إليه الشاعر إلياس أبو شبكة نسخة من ديوانه ، وما رأى أحدهما الآخر قط ، فراح هذا الأديب يفضل أبا شبكة على سائر الشعراء ، فتخيروا واحداً منهم يجيد حكاية اللغة السورية ، واتصلوا بذلك الأديب في بيته ، وأخبروه بأن أبا شبكة قد حضر إلى مصر ، وأنه يرغب في زيارته فحدد لهم الوعد على لهفة ، وذهبوا إليه وكان ما كان من الإجلال والإكبار والاحترام ، وخرج القوم على موعد بالغداء في يوم آخر ... ولكنهم وقفوا في المسخرة عند هذا الحد

حتى أساليبهم في الدعابة إنما هي أساليب أدبية ، كأن يقيموا لواحد منهم حفلة هجاء ، أو حفلة رثاء . وآخر ما حضرت لهم من ذلك « حفلة تكريم من غير مناسبة » للشاعر المهدي مصطفى . وقد اشترك فيها جميع إخوانه وأصدقائه ، وقام بتقديم الخطباء والشعراء الأديب الشاعر سيد قطب ، وقد استطاعوا أن يوفوا صاحبهم حقه من التكريم ، أو قل من التهليس . وقام هو أيضاً يرد عليهم بمطولة يقول فيها على طريقتهم :

يا قلب كالقبقاب حيرك الجما ل فتارة تدعى وأخرى تزجر
صبحاً برجل فهيمة ، وعشية في رجل سلمى والزمان مجرجر

إلى أن يقول لأصحابه :

أومكرمى ؟ فشرتموا ! الله يكـ(م) رمنى ويعرف قيمتى ويقدر
ليست قصائدكم بمغنية الأديـ(م) ـب عن الفلوس إذا الجيوب تصفر
فتعلموا صوغ القروش فإنها تذر الكنيف منتحاً فتصوروا

***

لقد كان ابن أبي ربيعة قائماً بالحجر يصلي بعد أن نسك ، فمر به فتيان جميلان ، فلما فرغ من صلاته أدركهما ثم قال لهما : يا ابني أخي ، لقد كنت موكلاً بالجمال أتبعه ؛ وقد رأيتكما فراقني جمالكما ، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه .

فيا إخواني في باب الخلق : إن البقاء في هذه الدنيا قليل ، والدهر يعدل تارة ويميل . فخذوا طريقكم ، وامضوا في سبيلكم ، واستمتعوا بشبابكم قبل أن تندموا عليه .

(م . ف . ع)

المرأة في حياة الأديب

(بقية المنشور على صفحة ٨٥٠)

بقوى عواطفه المختلفة من حب وبغض الخ بالإيحاء وإن كان هو لا يشعر بذلك ولا يفطن إليه

فإذا كان لا بد من امرأة في حياة الأديب فهذه امرأة ، أفلا تكفي الأستاذ الحكيم ؟ . ولست بعد هذا « عدواً للمرأة » كالأستاذ توفيق إذا صح هذا عنه ، ولم يكن أكثر من إعلان على الطريقة الأمريكية – معذرة يا صاحبي – وأنا أنشدها أبداً ولا أرى الحياة تطيب ، أو يكون لها معنى إلا بها ، ولكني لا أطمعها في الحب المستغرق الآخذ بالكظمين ، لأنه لا قدرة لي على ذلك ، ولأني أشد اعتزازاً بحريتي وحرصاً على استقلال شخصيتي من أن أسمح بأن تتسرب نفسي في نفس أخرى أو تفنى فيها أو تحملها عوز وجودها . ولكل امرئ منا طباعه وفطرته ، وأنا في طباعي هذا الفرد الساكن الذي ليس فيه فجة ، وتغليق الأبواب التي تجيء منها الريح لأستريح . ثم إنه لا ينبغي أن تكون في حياتي امرأة أو سواها لأكون أديباً على ما يحب الأستاذ توفيق ، وأنا قانع بنفسي ، جداً . ولست بعد ذلك بأديب وإنما أنا رجل صناعته القلم ، وقد قلت مرات – وأكرر الآن – إني كالنجار الذي فتح دكاناً وعرض فيه بضاعة له مما صنع فذاك رزقه يكسبه بهذه الوسيلة ، وكهذا النجار تجد عندي الخشب الجيد المتين ، والصنعة الدقيقة والخشب الأبيض والقشرة والصقل المغني عن النفاسة حسب الطلب وتبعاً لحالة السوق ومبلغ استعداد الزبائن للبذل . فضعني بالله حيث أضع نفسي واكفني شر هذه الفلسفات ، وإليك التحية وعليك السلام .

ابراهيم عبد القادر المازني

خــــلود الأمومة

« مهداة إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات »

للكاتبة الفاضلة « وفيقة »



لست أدرى لماذا أثرت فى نفسى أيما تأثير هذه الصورة التى فى أعلى هــذه الصفحة ! منذ رأيتها وأنا أحاول التغاضى عن هذا التأثر الشديد بها؛ ولكنى لم أفلح. وكلما هممت بقراءة كتاب أو كتابة مقال ، شتت انتباهى ذلك المنظر ، وأخيراً لم أر بُداً من الكتابة عن الصورة ذاتها .

إن كل أمر مهما كان طفيفاً يؤثر تأثيراً عظيماً فى حيــاة البشر وأخلاقهم .

قال وست West المصور : « إن قبلة واحدة من أمى جعلتنى مصوراً » .

وكتب فول بكستن Buxton إلى أمه بعد أن نال منصباً عالياً يقول : « إننى أشــعر على الدوام بنتاج البادئ التى غرســتها فى عقلى » .

ووقفة جلالة الملكة نازلى فى هذه الصورة بين كبرى بناتها وصغراهن : صاحبة السمو الإمبراطورى الأميرة فوزية ، وسمو الأميرة فتحية ، وقفة الأم الرءوم العطوف .

أنظر إلى سمات الحنو الأموى من محياها ، وإلى التأثر البادى على قسماتها ! !

لعمرى أيتها الأم الكريمة ، ماذا يكون جواب سمو الأميرة فوزية لو سئلت عن أثر هذا الحنو الدافق من كفك إلى كفها فى أرهب لحظة تفارقان فيها أرض الوطن العزيز ، وعن مبلغ أمومتك الكريمة فى حياتها وتكوينها ؟ !

سيكون جوابها دون تردد كما قال لورد لنديل ، عندما فطن إلى قدوة أمه الصالحة : « إذا وضع العالم بأسره فى كفة ميزان وأمى فى الكفة الأخرى رجحت عليه رجحاناً عظيماً » .

إنها تستمد من جلالتك القوة والشجاعة التى تستعين بهما على حياتها المستقبلة... ولست بهذين ضنينة ولا متكلفة . فاغتبطى يا سمو الأميرة ، واهنئى بأمك الجليلة .

إن كل أم قوية كالطود ، صابرة كالزمن ، وادعة كالزهر ... إلا فيما يمس أولادها من قريب أو بعيد ، فهى إذن الرعد المدوّى ، والفزع الثائر ، والقدر الذى لا يرحم . فالأولاد ثمرتها فى الحياة ، وبهم خلود الحياة ؛ وهم رأس مال آمالها ، ومعين سعادتها ، ومعقد رجائها على الدوام .

يالله ! إنى لا أحتمل النظر إلى عينـاها التى تحوط الأميرة الصغيرة؛ ولا أستطيع أن أنظر إلى عينيها المسبلتين فراراً من مجابهة الواقع ... مبارحة وطن إلى حين ، ثم فراق ابنة عزيزة بعد حين ، تسلمها طائعة نزولاً على سنة الله ورسوله ، وانصياعاً لمـا هيأته الأقدار !

يا أيتها الأم العظيمة والملكة الكريمة ، إن صبر الملوك ملك الصبر ، وإن حنوك حنو غامر فى رقة سجايا ودماثة خلق ؛ وإذن فرحمة قلبك تفيض على عالم بأسره فيطمئن

أيتها الأمهات ... أمام أعينكن نموذج الأم الصالحة المدبرة الشجاعة ، فاحتذين بجلالتها ، فإن مصر والشرق فى حاجة قصوى إلى الأمهات اليقظات الحكيمات .

والأم الصالحة المهذبة قوام الأسرة الكريمة الناجحة ، وما الوطن إلا مجموع أسرات، ونعم وطنا تكون هذه حال أسراته

(وفيقة)

التاريخ في سير أبطاله

أحمـــــــد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يعقد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف

—⊣⊢—



وذهب الضباط على رأس من أخرجوهم إلى الخديو يسمعونه شكواهم ، وكان بعض أعوان الخديو يشيرون عليه بأخذهم بالشدة ومعاملتهم معاملة الثائرين ولو أدى الأمر إلى إطلاق النار عليهم ، وقال البعض إن من العبث أن تلجأ الحكومة إلى البطش وليس لديها وسائله، فالفرق جميعاً تؤيد عرابياً ومن معه، والرأى أن يسلك الخديو معهم جانب اللين فيطفئ بذلك نار الفتنة

وتغلبت الحكمة على الطيش ووضع اللين فى موضع البطش . فأوفد الخديو إلى الضباط الثلاثة ومن ظاهرهم من الجند تحت نوافذ قصره يخبرهم بإجابة مطالبهم الأول فقد عزل رفقي ، وطلب إليهم أن يختاروا من يحل محله حتى لا يعودوا إلى الشكوى ، فوقع اختيارهم على محمود باشا البارودى ؛ ووعد الخديو بالنظر فى بقية مطالبهم والعمل على إنصافهم . وطلب الضباط الإذن على الخديو فمثلوا بين يديه وأعربوا له عن امتنانهم وولائهم لشخصه وإخلاصهم لعرشه ، ثم انصرفوا وانصرف الجند فرحين مستبشرين

وكان على الخديو أن يتدبر الأمر منذ بدايته وينظر ما إذا كان لديه قوة يقمع بها الحركة إن كان لا بد من وضع العنف موضع العدل ؛ فإن عدم القوة كان أمامه أن يلجأ إلى اللين غير مكره ولا مغلوب على أمره ... ولكنه تصرف فى الأمر على نحو ما رأينا فأفضى إلى نتائج خطيرة سوف تؤثر أثرها فى مجرى الحوادث ، فظفرُ الجند بمطالبهم فى عنف وعجز الحكومة عن مقاومتهم قد وضع الخديو وحكومته فى موضع الضعف وأحل عرابياً وحزبه محل التوثب والتطلع وجعلهم مناط الرجاء والأمل هذا إلى ما تركه هذا الحادث من سخيمة فى نفس الخديو يصبح بعدها كل تفاهم ويلبس فيها كل حق بالباطل ؛ ثم من حذر وريبة فى نفوس الجند يلقيان على كل حركة من حركات الحكومة شبح الغدر ويلبسان كل عمل من أعمالها ثوب الرياء

على أن ما يعنينا فيما نحن بصدده أن هذا الحادث قد أدى إلى ذيوع صيت عرابى على نحو لم يسبق لفلاح غيره فى مصر ، فسرعان ما دار اسم ذلك الفلاح على كل لسان فى القاهرة وسمع بذلك الاسم الأجانب ومن لم يكن يعرفه من المصريين ؛ ولم يقف الأمر عند القاهرة بل لقد رن هذا الاسم فى القرى فأفاق على رنينه الساحر أولئك الأعيان والمشايخ الذين تعودوا منذ القدم أن يخضعوا خضوعاً مطلقاً للترك والجركس، الذين كانوا ينظرون إلى الفلاحين نظرتهم إلى دوابهم

وعجب أولئك الفلاحون أن يجرؤ رجل منهم على تحدى الخديو والرؤساء الجراكسة، فتعلقوا بهذا الرجل ولم يروه، ورغب كثير منهم فى رؤيته ، فقدموا إلى القاهرة يحملون إليه الهدايا ويعربون له عن محبتهم وإخلاصهم وإعجابهم بمبادئه التى تدور حول إنصاف الفلاحين فى الجيش ، وراح هو يخطب فيهم شاكراً مطمئناً

وليت شعرى ماذا تكون الزعامة إذا لم تكن هذه زعامة ؟

ألسنا نرى الآن في عرابي شخصيتين : شخصية الضابط الذي يسير في مطالب الجيش على رأس الجند ، ثم شخصية الفلاح الزعيم الذي بدأ الفلاحون به يرفعون رؤوسهم وقد خفضوها من قبل أجيالاً طويلة ؟ إني لألمس في تلك الصحوة فجر عصر جديد للقومية المصرية ، كان عرابي أول مؤذن أذن به ، ألمس ذلك الفجر الذي سوف يسفر صباحه عما قريب على صيحة فلاح آخر سوف يبرز من القرى كما برز عرابي ، هو سعد بن مصر العظيم مفخرة أجيالها ورأس رجالها

ولئن كان جمال قد أيقظ النائمين في المدن ، لقد بعث عرابي بإقدامه أهل القرى من مراقدهم ، فإن عمله هذا أوحى إليهم أن من الممكن أن يخرج من بينهم من يشمخ برأسه على أولئك الجراكسة الذين طالما استذلوا في مصر الرقاب !

ويعنينا كذلك من حادث قصر النيل أمر آخر لا يقل عن ذلك أهمية ، ألا وهو التفات الوطنيين إلى عرابي ، فعند هذه النقطة التقت الحركتان الوطنية والعسكرية فتولدت من التقائهما الثورة العرابية في أصح مظاهرها وأصدقها

رأى الوطنيون ما أصاب رجال الجند من ظفر سريع ، بينما قد لحقهم هم الفشل ، واستطاع توفيق أو بالأحرى استطاع رياض أن يأخذ عليهم مسالك القول والعمل ، فسرعان ما اهتدوا إلى الطريق الذي يوصلهم إلى أغراضهم فتقربوا إلى عرابي ، فأخذ شريف يراسله ويعقد بينه وبينه أواصر المودة

وحذا حذو شريف زعماء حركة الإصلاح في الأزهر وزعماء النواب مثل سلطان باشا ذلك الذي كان يمثل الأعيان كذلك بحكم أنه منهم ، واتضح لهؤلاء أنه يجب عليهم أن يستعينوا بهذه القوة الجديدة لإقصاء رياض عن مركزه ، وبعث الدستور الموءود وتحقيق الإصلاح المنشود .

وأصبح منزل عرابي مقصد الكثيرين من الأحرار كما كان موئل رجال الجيش ؛ ولم يكن موقف عرابي في الحركة الوطنية موقف الأداة كما زين البغي لبعض المؤرخين أن يقولوا ، فلقد كان هو من جانبه من المتمسكين بمبدأ الشورى منذ نشأته ، وإنه ليؤكد في كل ما كتب أنه قد طالب في عريضته ، فوق ما طلب ، بإعادة مجلس شورى النواب ، ليكون فيه موئل للمظلومين من الوطنيين في الجيش وغير الجيش .

وكان البارودي وزير الجهادية الجديد ، من دعاة الدستور ، ومن حزب شريف ، ولذلك كان حلقة الصلة بين الجند وبين الوطنيين ، وكان كثير الاتصال سراً بعرابي بواسطة علي الروبي حتى لا تدعو كثرة الصلة به جهراً إلى ريبة رياض وحزب رياض ، وبهذه الوسيلة كان الجند على علم بكل ما تريده الحكومة بهم .

وهكذا أصبح عرابي ملتقى الآمال ، يحرص على الصلة به الوطنيون والجند والفلاحون ؛ ولقد بلغ من ذيوع صيته أن أصبح توفيق يغار منه حتى ما يستطيع أن يخفي تلك الغيرة .

ولو أن توفيقاً عرف يومئذ كيف يتخذ سبيله وسط هاتيك الأنواء لجنب البلاد ما كانت مقبلة عليه ولتغير تاريخ مصر الذي كان لا يزال مطوياً في حجب الغيب ، وما كان للخديو من سبيل يومئذ إلا أن ينضم إلى الحركة الوطنية فتكون البلاد كلها تحت لوائه نوابها وجيشها ، ووجوه البلاد وأهلوها ؛ وفي ذلك دون غيره سلامتها وأمنها

* * *

كانت سياسة توفيق إن كان ثمة له من سياسة عقب حادث قصر النيل أهم العوامل في تطور الحوادث بعده على النحو الذي سوف نراه؛ فلقد وقف موقفاً أشبه ما يكون بموقف لويس السادس عشر من مجلس طبقات الأمة حين أجاب نواب العامة فيه إلى ما طلبوا في مسألة التصويت على القوانين وفي نيته أن يغدر بهم متى حانت الفرصة

أدرك الضباط لا ريب أنه أجابهم إلى ما طلبوا إذ لم يكن له من ذلك بد ، ولذلك أحسوا أنه لا بد متربص بهم فتربصوا هم كذلك به

وكان توفيق من ناحية أخرى يكره رياضاً ويعمل على التخلص منه ؛ لذلك وضع نفسه في موضع عجيب حقاً ، فبينما هو يكره الضباط ويمقت حركتهم وينتوي المكر بهم إذا به يتخذ منهم أداة للكيد لوزيره بغية إقصائه عن منصبه

وهكذا تشاء الظروف أن يكون رجل كتوفيق هو الذي يحرك دفة الأمور في مثل ذلك الزمن العاصف ؛ ولم يكن أمامه كما أسلفنا إلا أن يتخذ سبيله إلى الوطنيين فيتخذ من نواب الأمة سنداً له كما فعل أبوه في أواخر أيامه

ولو أنه فعل ذلك لضعف شأن الحزب العسكرى إذ كان يحس الوطنيون أن لا حاجة بهم إلى معونة الضباط ، ثم كان الضباط أنفسهم يجدون فى وزارة وطنية تحقق رغائبهم ما يطمئن نفوسهم ويكبح فى الوقت نفسه جماحهم بطريقة غير مباشرة

ولكن توفيقاً لم يلجأ إلى ذلك الحل ، وما نشك أنه كان يفطن إليه ، ولكنه كان يقتضيه أن ينزل عن سلطانه إلى نواب الأمة وهو ما نشك كل الشك فى أنه كان يستطيع أن يحمل نفسه عليه ، ومن هنا أحدقت به وبمصر الأخطار ، هذا فضلاً عن دسائس الأجانب الذين أحكموا شباكهم من مدة لاقتناص الفريسة الغالية فى هذه الأيام الكدرة !

وقع حادث قصر النيل فى فبراير عام ١٨٨١ م ؛ وفى أعقاب الحادث مرت على مصر بضعة أشهر ما نظن أنه مر على البلاد فترة مثلها فى كثرة ما حيك فيها من الدسائس على قصر أمدها

سمع الضباط أن أعوان الخديو يغرون بالمال والمناصب بعض رجال الآليات ليكونوا فى الوقت الموعود إلى جانب الخديو ، ونمى إليهم أن رياضاً يفكر فى طرق إجرامية للفتك بهم ، ومن ذلك ما علموه من أنه كان يدبر مشاجرة فى أحد الشوارع يندس فيها من يقتل عرابياً أو من يحضر من زميليه .

ومما يذكره عرابى فى مذكراته أن أحد الغلمان الجراكسة فى منزل عبد العال بك حلمى ، وهو ابن زوج حرمه المتوفى ، قد وضع له السم فى اللبن بإيعاز غلام جركسى آخر من غلمان الخديو ، ولولا أن تنبهت الخادمة لراح عبد العال ضحية هذا الغدر الأثيم

وكذلك سمع الضباط أن الحكومة تنوى أن ترسل الآلاى السودانى بقيادة عبد العال بك إلى السودان ، بحجة أن القوة الموجودة فيه غير كافية لحفظ النظام . فأحس الضباط من ذلك أن النية متجهة إلى تشتيتهم للقضاء عليهم متفرقين

واتهم تسعة عشر ضابطاً أحد رؤسائهم بأمور نسبوها إليه أثبت التحقيق بطلانها ، فأبعدتهم الوزارة عن مناصبهم . فبادر الخديو بإعادتهم ، الأمر الذى حنق له زعماء الجيش . إذ رأوا فيه أن الخديو إنما يعضد حركة التمرد فى صفوف صغار الضباط ويستميلهم إليه ضد رؤسائهم .

وترامى إليهم أن الخديو يمرن حرسه فى الاسكندرية على إطلاق النار ، وأنه يشهد ذلك بنفسه وينثر الذهب على الجند متظاهراً بمكافأة المجيدين فى إصابة المرمى ؛ ولن يفسر مثل هذا العمل فى ظروف كهذه إلا بأنه استعداد من جانب الخديو لما هو مقبل عليه من قمع وبطش .

هذا بينما أرادت الوزارة أن تسخر الجند فى الآليات الأخرى فى حفر الرياح التوفيقى ، وكان عليهم أن يسلموا أسلحتهم إلى مخازن الجهادية قبل ذهابهم إلى ذلك العمل ؛ ولقد رفض عرابى الموافقة على ذلك ، وأيده البارودى وزير الجهادية

وأرسل الخديو من الاسكندرية كما يقول عرابى فى مذكراته على فهمى رئيس الحرس إلى زميليه فى القاهرة ليقول لهما إن الخديو رغب فى عزل البارودى لما رأى من ذبذبته وسوء سياسته ، وإن الخديو يعطف على مطالبهم « فهم ثلاثة وهو رابعهم » وإن سموه يطلب ألا يلم أحد بإيفاد على بك إليهم .

وعزل البارودى فعلاً ، وكان رياض قد أمره أن يبعد عرابياً وعبد العال بفرقتيهما من القاهرة ، فأبى عليه ذلك

وجاء إلى البارودى ، وكان بالقاهرة ، أمر أن يسافر فوراً إلى عزبته .

ولقد كان البارودى على صلة برجال الجيش ينبئهم كما أسلفنا بكل ما تريد الحكومة بهم ، واتفق معهم أن يكون خروجه من الوزارة علامة اقتراب الخطر .

وحل محل البارودى داود يكن باشا صهر الخديو فما لبث أن لجأ إلى الصرامة فى معاملة رجال الجيش ، فحظر عليهم الاجتماع بالمنازل أو ترك مراكزهم ليلاً أو نهاراً وأنذرهم بأشد العقاب إن خالفوا أوامره ؛ ومع أن عرابياً وأنصاره قد هنأوه بمنصبه ، وطلبوا إليه أن يعمل على إجابة مطالب الجيش التى كان البارودى يسعى فى إجابتها ، فإنه اكتفى بالوعود ولم يفعل شيئاً .

وأحيط بيت عرابى وعبد العال بالجواسيس ، وجرت الشائعات بالغدر فملأ القاهرة نبأ عجيب وهو أن الخديو قد استصدر فتوى سرية من شيخ الإسلام بقتل عرابى ، وكانت الظروف يومئذ تساعد على تصديق هذا النبأ الكاذب أكبر المساعدة .

وطلب رجل مجهول الإذن على عرابى فى منزله فلم يأذن له وشوهد أنه عاد إلى أحد مخافر البوليس ؛ وذهب عرابى إلى منزل زميله فعلم أنه حدث لهما مثل ما حدث له فأيقنوا أن حياتهم قد باتت فى خطر ، وكان ذلك فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٨١ م .

لذلك كله عول الضباط على أن يخطوا خطوة حاسمة ، وكانوا على صلة دائمة فى تلك الشهور التى أعقبت حادث قصر النيل برجال الحركة الوطنية « يتبع »

الخفيف

نقل الأديب

لمؤلف كبير : محمد إسعاف النشاشيبي

٣٩٨ — كأنما له زغب الفراخ يقوتها

ابن فيروز البصير :

وروضة لهو قد جنيت ثمــــارها

بدير المذارى بين روض وأنهار(١)

تخال به وجه الدير وكأسه هلالاً وشمساً بين أنجم نوّار

يطوف بأبريق معدّى ، كرامة علينا ، بأسماع كرام وأبصار

كأنما له زُغْبُ الفراخ يقوتها

بمثل مُذاب التبر من شطر منقار(٢)

٣٩٩ — لم يسمع ذم صديقه

فى (مرآة المروءات) للثعالبي : جلس أبو نواس إلى نفر من قريش ، فذكروا صديقاً له فعابوه ، فقام أبو نواس فاستجلسوه فقال : ليس من المروءة أن أجالس قوماً يذمون صديقاً لى ، وأنشأ يقول :

لا أعير الدهر سمعى ليعيبوا لى حبيباً

احفظ الإخوان كيما يحفظوا منك المغيبا

٤٠٠ — شريكك

قال صلاح الدين الصفدى : رأيت الشيخ الإمام الفاضل ركن الدين محمد بن القريع غير مرة ينكر على من يضرب كلباً أو بهيمة ويقول له بحنق : لأى شىء تفعل به هذا وهو شريكك(٣) فى الحيوانية ؟!

(١) دير المذارى بين سر من رأى وبغداد ، فى موضع حسن ، فيه رواهب عذارى ، وكانت حوله حانات الخمارين وبساتين ومتنزهات ، لا يعدم من دخله جوارى حسان الوجوه والقدود والألحاظ والألفاظ (مسالك الأبصار) وهناك أديار أخر تسمى هذا الاسم راجع معجم البلدان

(٢) الزغب : الفراخ . والزغب بالتحريك ما يلوريش الفرخ ، صغار الشعر والريش ولينه (اللسان) زغب القطا : فراخ القطا التى عليها الزغب وهو الشعر اللين (التبريزى شارح الحماسة)

(٣) أبو العلاء :

فيا طائر ، أمّني وباطنى ، لا تخف شـــفاى فإنى وبينكما فرق

٤٠١ — ولا تصحب الأردا فتردى مع الردى

وُجد على ظهر نسخة من (المفصل) بخط عتيق : سئل ابن ابن الأخضر بحضرة ابن الأبرش : علامَ انتصب قوله : (مقالة إن قد قلت سوف أناله؟). فقال : (ولا تصحب الأردا(١) فتردى مع الردى) . فقال السائل : سألتك عن إعراب كلمة فأجبتنى بشطر بيت . فقال ابن الأبرش : قد أجبتك لو كنت تفهم . وهذا الشطر من قول النابغة :

أتانى ـ أبيت اللعن ـ أنك لمتنى وتلك التى تستك منها المسامع(٢)

مقالة إن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع

يروى (مقالة) بالرفع على أنه بدل من أنك لمتنى الفاعل وبالفتح على ذلك إلا أنه بناه لما أضافه إلى مبنى

٤٠٢ — فتوة

فى (مفيد العلوم ومبيد الهموم) لجمال الدين الخوارزمى : كان رجل نيسابورى يدّعى الفتوة ، فاجتاز يوماً بمفرق(٣) الطرق ، فرأى شاباً مريضاً يتأوه ويستغيث ، فتقدم إليه وقال : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى رؤية أمى والرجوع إلى وطنى . قال : أين منزلك ؟ قال : ببلخ . فأخذ الرجل بمجامع لحيته ولطم نفسه (وكان اسمه أبا الحسن) ، فقال : يا أبا الحسن ، كنت أظن أنه يشتهى فُقاعاً(٤) ، أو قصعة هريسة . ادعيت الفتوة فهات المنى . فرجع إلى بيته وباع داره ، واكترى راوية(٥) وحمولة(٦) وآلات وحمل الرجل ، وأوصله إلى منزله .

(١) الأردأ بالهمز وخفف الوزن كسبه بالردى ، والأردأ هنا الردىء فقط

(٢) أبيت اللعن : تحية الملوك فى الجاهلية أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن (الأساس) وفى (أنباء نجباء الأبناء) : وهذا عندي فيه بعد وأظن أنك أبيت أن تلعن قاصدك ووفدك أى تبعده . فى (التاج) : قال شيخنا من أغرب ما قيل وأقبحه أن الهمزة فيه للنداء ، وهو غلط محض ، لأن المعنى ينقلب فيه من المدح إلى الذم

(٣) مفرق : بفتح الراء وكسرها

(٤) الفقاع : هذا الذى يشرب (الجوهرى) شراب يتخذ من الشعير (اللسان)

(٥) راوية : بغلا ، والراوية المزادة فيها الماء والبعير والحمار الذى يستقى عليه

(٦) الحمولة : كل ما احتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه

٣٠٣ — الفتوة

في (الذخائر) للأشبيلي: سمع بعض السلف بعض الفتيان يقول: الفتوة إنما هي الظرف والانهماك والمجون. فقال له: ويحك! يا بني، حدت (والله) عن طريق الحق، وجرت عن القصد. والله ما الفتوة[1] إلا مال مبذول، وبشر مقبول، وطعام موضوع، وأذى مرفوع.

٤٠٤ — ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم

في (الكشاف): (ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم): ليتكلفوا الفقاهة[2] فيه، ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة، ويؤمونه من المقاصد الركيكة، من التصدر والترؤس والتبسط[1] في البلاد، والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم، ومنافسة بعضهم بعضاً، وفشو داء الضرائر بينهم[2]، وانقلاب حماليق[3] أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه، وتهالكه على أن يكون موطأ العقب[4] دون الناس كلهم

---

(١) في (تاريخ بغداد) قال عبد الرحمن بن الحسن الصوفي: بلغني أنه لما أراد أبو حفص النيسابوري الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والشبان، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم: دلنا على الفتوة ما هي؟ قال: الفتوة تؤخذ استعمالاً، ومعاملة لا نطقاً. فعجبوا من كلامه

(٢) فقه فقاهة: صار الفقه له سجية. والفقه: العلم، الفهم، الفطنة. نزل سلمان على نبطية بالعراق فقال: هل هنا مكان نظيف أصلي فيه؟ = = فقالت: طهر قلبك وصل حيث شئت. فقال فقهت: فطنت وفهمت. وقد غلب على علم الدين

(١) التبسط التنزه مأخوذ من البساط (بالفتح) الأرض ذات الرياحين (اللسان)

(٢) بينهم داء الضرائر: جمع ضرة وهو جمع غريب ومثله كنة وكنائن، يضرب للعداوة إذا رسخت بين قوم لأن العصبية بين الضرائر قائمة لا تكاد تسكن.

(٣) الحماليق جمع الحملاق (بالكسر والضم) والحملوق وهو باطن الجفن. في الأساس: (قلب المجنون عينه إذا غضب وقلبت حماليقه)

(٤) موطأ العقب: كثير الأتباع (الأساس) والعقب مؤخر القدم

تقهقر نابليون عن روسيا

لفكتور هوجو

[مهداة إلى الذكرى بعد وضع الرمل مكان الثلج]

كانت السماء تُساقطُ الثلج ؛ وكان الفاتح قد قهره فتحه ، والنسر لأول مرة تطامن رأسه

يا للأيام العوابس ! لقد تقهقر الإمبراطور وئيد الخطى تاركاً وراءه (موسكو) داخنة تحترق !



كانت السماء تساقط الثلج ؛ والشتاء القاسي يتدهدى قطعة فقطعة ، والبقاع البيض تتعاقب بقعة فبقعة ، والجيش قد وقع في غمّاء فلا يُعرف له قائد ولا علَم ؛ وكان بالأمس أعظم الجيوش فأصبح اليومَ قطيعاً من النَّعم ؛ واضطرب الأمر وتشعث النظام فلا يتبين له جناحان ولا قلب

كانت السماء تساقط الثلج ، والجرحى يلوذون ببطون الخيل المبقورة ؛ وناقفو الأبواق على مداخل المعسكرات الخلية المحطمة قد جمّدهم الصقيع، وغشّاهم البَرَدُ ، فظلوا في أماكنهم واقفين على العتبات ، أو صامتين على السُّرُج ، وأفواههم الحجرية قد التصقت بأبواقهم النحاسية ؛ والسماء تقذف بالرصاص والقنابل مختلطة بكبب الثلج ؛ وجنود الحرس الإمبراطوري بنجاهم الروع فيمشون مفكرين وقد انعقد رُضابُ الجليد على شواربهم الشُّعْر

كانت السماء تساقط الثلج ، والريح الصرصر تهب ، والجنود يمشون حفاة على الطوى في مجاهل الأرض، فلم يعودوا تلك القلوب التي كانت تنبض ، ولا تلك النفوس التي كانت تحارب ، وإنما أضحوا حلماً يهيم في الضباب، وسراً يجول في الظلام، وموكباً من الأشباح يضرب في الأجواء القاتمة ؛ وكانت الوحدة شاملة المروعة تبدو في كل مكان صامتة منتقمة ، والسماء انما كانت تجعل من طباقها ومن ركام الثلج كفناً عظيماً لهذا الجيش العظيم . وكان كل جندي يحس في نفسه دبيب الموت في وحدة ووحشة

هل يتيح لهم القدر أن يخرجوا من هذه الأرض المشئومة ؟ لقد كانوا أمام عدوين: القيصر وريح الشمال ، والشمال كانت عليهم أشد . كانوا يلقون المدافع ويشعلون النار في خشبها ليستدفئوا ؛ وكان كل من رقد منهم لا يصحو من رقاده ؛ وكانوا يفرون شراذم في وجوه الضلال والهم فتتخطفهم المنايا وتبتلعهم الصحراء، فلو نظرت من صدعات الجليد لرأيت كتائبهم تحت أطباقه راقدة

يا لسقطة هنيبال وعقبى أتيلا ! لقد كان المهزومون والجرحى والموتى وصناديق الذخيرة وناقلات المرضى يتساحقون على الجسور ليعبروا الأنهر ؛ وكان الجند ينامون عشرة آلاف فيستيقظون مائة ؛ و (ني) الذي كان يتبعه جيش من قبل ، فر الآن بعد أن نازع ثلاثة من القوزاق ساعته



كانت الهتفات لا تنفك طول الليل تشق الآذان : من هذا ! هيا ! هجمة ! حملة ! فيتناول هؤلاء الأشباح بنادقهم فيرون أن قد هجمت عليهم كتائب من الخيّالة القطاع ، وزوابع من الرَّجّالة الشُّعْر ، لهم صور كصور الغُول المفزعة ، وأصوات كأصوات البُزاة الصُّلع ! وهكذا باد في غياهب الليل جيش بأسره !

وكان الامبراطور واقفاً هناك ينظر ! كان كالسنديانة العملاق تفرعت ذراها المصونة نكبةُ الدهر، وهى الحطاب المشئوم، ثم أخذ يهين عظمتها بفأسه ، والسنديانة الحية ترتجف أمام شبح الثأر الناجع وتنظر إلى فروعها تتساقط من حولها فرعاً بعد فرع .

من دخان المجتمع!

« في ذكرى قاسم أمين »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

جَفَّ الخميلُ... فلا ظِلٌّ ولا ثَمَرُ
ولا نشيدٌ إليه يَظمأُ الوَتَرُ

إلا بقايا أغانٍ ههنا وهنا
مُصَرَّعاتٌ عليها الصمتُ يحتضرُ

وقُبلةٌ من شفاهِ الطيرِ ثاكلةٌ
على الغصونِ تهاوت حولَها الذِّكَرُ

وشاعرٌ في يديهِ أدمعٌ ودمٌ
وجذوةٌ من أسًى تغلي وتستعرُ

ويشتكي فيقولُ الناسُ هزَّ صدًى
وقال شعرًا. ضللتم! إنه ضجرُ

طوى الربيعَ على أقداحِهِ مِزَقًا
من قلبِه، في هجيرِ العمرِ تنفطرُ

ونغمةً في مَحاري النفسِ حائرةً
ما في فمي نبأةٌ عنها ولا خبرُ

دُفِنتُ فيها، ودوّاني بحيرتها
إعصارُ يأسٍ كليلِ الجنِّ مُعتكِرُ

ما يبتغي عاشقُ التغريدِ من نغمٍ
والكونُ حولي زنادٌ خانه الشررُ

والأرضُ بركانُ آجالٍ يكادُ بها
لولا العنايةُ في الآفاقِ ينفجرُ

والناسُ مثلُ الضواري لا خيالَ لهم
إلا المخالبُ والأنيابُ والظفُرُ

وما بهم جائعٌ عزَّته لقمتُه
ولا شريدٌ تجافى جنبَه المدَرُ

فالهمْ جيَّشوا الأرزاءَ واحتشدوا
للموتِ فانين لا هابوا ولا حذِروا

وجنَّدوا النارَ... وازجَوا له فزعًا
وتحتهم فغرت أشداقَها الحفرُ

في كلِّ يومٍ سريرٌ ذابَ صولجُهُ
ودولةٌ في رياءِ السلمِ تندثرُ

فإن تبرَّج فتاكٌ... وطُلَّ دمٌ
فالشرُّ جوعانُ في الآجامِ ينتظرُ

وليذهبِ العصرُ مطعونًا بخنجرِهِ
تُبلي حضارتَه الأطماعُ والأشَرُ!

قُتِلتمُ... وعِشاشُ الطيرِ عاريةٌ
والأفرخُ البيضُ والأطفالُ والزهَرُ

حتى الربيعُ. وما ذنبُ الصباحِ بهِ
والنهرُ يحلمُ والأنسامُ والشجرُ؟

منازلٌ أبدعَ الباهرونَ فتنتَها
ما هزَّني هاجسٌ منها ولا أثرُ...

كان الجيش يموت قادته وجنده. لكل امرئ حينه وحَينه. وكانت بقية السيوف من رجال الأمبراطور يحفون من حول خيمته في إجلال وحب، ويرون ظله على الأستار يذهب ويجيء، فيتهمون القدر بالغيب في ذاته، ولا يخامرهم الشك في يمن طالعه. ولكنه هو أدرك فداحة الخطب؛ واتجه رجل المجد إلى الله وهو من الهول الهائل في دهشة ورعشة وحيرة. وعلم نابوليون أن ما أصابه إنما هو تكفير عن شيء. فقال ووجهه الساهم ينم عن القلق، وكتائبه على الثلج منثورة أمامه:

— أهذا هو العقاب يا رب الجيوش؟. فسمع من وراء الغيب منادياً يناديه باسمه ويقول له: « كلا »

(ابن عبد الملك)

أنا ابنُ مَن أنبتتِ الدُّنيا حضارتُهم
وَنوَّروا وظلامُ الأرضِ مُعتكِرُ
وأنطقوا مُعجزاتِ الفنِّ قاهرةً
والدَّهرُ تُلجِمُهُ الإعياءُ والحَصَرُ
قُمْ غنِّني مِنْ دمِ الأبطالِ أغنيةً
يحلو لِشادي المَلا في ظلِّها السَّمَرُ
وهاتِ عن سيرةِ الأحرارِ في وطنٍ
ما أيقظتْ قلبَهُ الأحداثُ والغِيَرُ
واهتِفْ «بقاسمٍ»: قُمْ فانظرْ صحائفَهُ
تضيقُ عن وصفِها الأخبارُ والسِّيَرُ
شهدتَ في الدُّورِ قيدَ الذُّلِّ مُحتدمًا
قلبُ الخُدورِ على بلواهُ ينفطِرُ
أزاهرُ النِّيلِ أفنى السِّجنُ بهجتَها
وَمَسَّ أكمامَها مِن هولِهِ خَدَرُ
فرُحتَ تزأرُ حولَ القيدِ عاصفةً
ما شلَّ فورتَها جُبنٌ ولا حَذَرُ
وحولكَ الرأيُ تحكي نارُ غضبتِهِ
أسنَّةً في قتامِ الحربِ تنتحرُ
فقائلٌ: مُصلحٌ أوفى بمِشعلِهِ
على الضِّفافِ كما يُستشرَفُ القمرُ
ألقى التَّبادي ما في رَوحِها ضَرَرٌ
سِترَ الحجابِ، ولا في شرعِها خطرًا
وقائلٌ: شِرعةٌ قبلَ الأوانِ أتتْ
والعصرُ في وهدةِ الأخلاقِ مُنحدِرًا
وقائلٌ: زنبقُ الوادي بروعتِهِ
تحتَ الخمائلِ عذريُّ الشَّذى نضِرًا
فإنْ تنقَّلَ ماتَ العطرُ... وانتثرتْ
أكمامُهُ، وطواهُ التُّربُ والوضَرُ!

وبينَ هذا وهذا... أقبلتْ زُمَرٌ
ضلَّتْ سبيلكَ، تتلو ركبَها زُمَرُ
هوى على كفِّهم نجمُ العفافِ... فما
هزُّوا لِمصرعِهِ جفنًا ولا شعروا
باسمِ التَّنوُّرِ أقاموا كلَّ مَجزرةٍ
يكادُ يلطِمُ مِنْ أهوالِها القدَرُ
عاثوا فضجَّ الحِمى مِن رِجسِ خُطوتِهم
وفُزِّعتْ منهمُ الأخلاقُ والأُسَرُ
نعشُ الفضيلةِ يمشي في مواكبِهم
فما يُحِسُّ بهِ سمعٌ ولا بصرُ
قالوا: شأى الغربُ! قلتُ: الشرقُ سابقُهُ
وإنْ تبدَّلتِ الأشكالُ والصُّوَرُ
وما بعاداتِهِ نُعلي دعائمَنا
لكنْ بما تُلهمُ الأحداثُ والعِبَرُ
وكيفَ يعلو جبينُ الدهرِ في بلدٍ
يكفُّ شُبَّانُهُ الأخلاقَ تنتحرُ؟!
فقُمْ لهُ «قاسمٌ» واهتفْ بساحتِهِ
يا علَّنا بعدَ هذا الغيِّ نزدجرُ!
أوْلا فقُمْ هاتِنا في الخلدِ لا صخبٌ
يُضني الحياةَ ولا همٌّ ولا ضجرُ...
تجدَّدتْ ذكراكَ على اليومِ خافقةً
مِن أرغُني بصداها النَّفسُ تعتبرُ
أنا الذي يُسمعُ الأبطالَ ذكرَهُمُ
وإنْ ثووا يومَ تحتَ الثَّرى حجرُ!
عريفُ جِنٍّ فوقَ الشمسِ دارتُهُ
وتحتيَ اللَّغوُ والتَّهريجُ والهذرُ...

محمود حسن إسماعيل
«وزارة المعارف»



دراسات فى الفن :

التمثيل تلخيص الحياة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ينحو التمثيل فى مصر نحوين :

أما النحو الأول فهو صناعة التمثيل، وزعيم مدرستها فى مصر الأستاذ جورج أبيض . والواحد من أبناء هذه المدرسة يتلقف الدور الذى يعهد إليه بتمثيله ، فيتكىء على جمله وعباراته يدرسها جملة جملة وعبارة عبارة ، ويرى أى شىء يقصد إليه المؤلف من كتابة هذه الجملة أو هذه العبارة . فإذا كان المراد بها استفهاماً عرف الممثل الصناع هذا الغرض ، وأدرك أن هذه الجملة أو هذه العبارة يجب أن تلقى كما يلقى الإنسان سؤالا يُشعر بإلقائه سامعه بأنه ينتظر منه الجواب . فإذا كان المراد بالجملة أو العبارة إظهار الشكوى والتوجع أنَّ وهو يلقيها وأرسل صوته متهدجاً متقطعاً . وإذا كان المراد بالجملة أو بالعبارة إعلان الثورة والغضب استلزم تمثيلها عند هذا الممثل أن يصرخ فيها وأن يزعق ، وأن يشير بيديه — إذا أحب — إشارات تتفق فى معناها ومعنى الغضب والثورة الذى يعلنه بعبارته أو جملته

وهذا أسلوب فى التمثيل كان الفرنسيون يصطنعونه حتى السنوات الأولى من هذا القرن وهى السنوات التى أدرك فيها الأستاذ جورج أبيض أستاذه « سيلفان » الذى تعلم التمثيل على يديه فى البعثة التى أوفده فيها الخديو عباس ، وهذا الأسلوب فيه عيب هو أخطر العيوب التى ينكب بها فن من الفنون وهو التكلف ، ذلك أنك لا تستطيع أن تشاهد ممثلاً يمثل بهذه الطريقة وتستطيع أن تنسى أنك تشاهد تمثيلاً ، فأنت تلحظ — مهما تناوم حسك — أن كل كلمة مما يلقى أمامك قد درست حروفها حرفاً حرفاً ، فلا حرف من حروفها يخرج من بين شفتى ملقيها إلا بعناية مبذولة ، ولا جملة ترسل من فيه إلا بتنغيم وتلحين يصرخ فى أذنيك بأنه لم يرد عبثاً وبأنه يراد به أن يحوز إعجابك ، إعجابك أنت أيها المتفرج! وهذا شىء تزورُّ عنه الطبيعة ولا ترضاه. فليس فى الدنيا ناس يكلم بعضهم بعضاً مثلما يكلم أفراد هذا الفريق من الممثلين بعضهم بعضاً وهم واقفون على خشبة المسرح . فهو تمثيل أجدر به أن يقضى الإنسان أمامه الساعات يشاهده « يتفرج عليه » ولكنه لا يساهم فيه بعواطفه وشعوره ، ولا يشارك فيه ممثليه بوجدانه وإحساسه .. وكيف يصدقهم وهم يذكرونه فى كل كلمة من كلامهم بأنهم ممثلون ، وبأن هذا الكلام الذى يسمعه رواية تخيلها كاتب من الكتاب ، وأن هذا المقعد الذى يجلس عليه فوتيل ممتاز أجره فى الصواريه عشرون قرشاً يضاف إليها قرشان ضريبة على لهوه وعبثه !

وهذا هو ما حدا بى أن أسمى هذا النوع من التمثيل صناعة التمثيل ، وهو ضرب من التمثيل يستطيعه الموهوب كما يستطيعه غير الموهوب لأنه لا يحتاج فى إتقانه إلا إلى تدريب صوتى تم بتمامه الصنعة ، ويقعد بعد تمامها الفن الصادق عزوناً عسوراً

أما النحو الآخر الذى تحصيه للتمثيل فهو هذا الضرب الذى لا يعبأ بالصنعة ، والذى لا يعبأ بالصوت ، والذى لا يهتم كثيراً بمخارج الحروف ، والذى لا هم له فى هذه الناحية الصناعية إلا أن يكون الصوت واضحاً مسموعاً مفهوماً ؛ ولكنه يتطلب قبل هذا من الممثل أن يكون قد وهب نفسه وروحه وبصره وسمعه وإحساسه وكل قوة من قواه للتمثيل ، لا مختاراً ، فلا سبيل للاختيار فى المواهب ، بل مفطوراً مطبوعاً . فإذا لم يكن الله

قد خلق الممثل ممثلاً فإنه لن يستطيع أن يبلغ من المجد الفني إلا متفقاً بفهم الأستاذ الكبير جورج أبيض : دراسة وإتقان

فالممثل الصحيح هو هذا الذي ينشب وهو يراقب الناس فرداً فرداً ويدرس أشخاصهم كاملة لاممزقة ؛ فهو لا يعنى بأصواتهم واهتزازاتها المختلفة في أصواتهم النفسية المختلفة من تفاؤل وغضب وفرح وحزن ، وإنما هو يتوغل في نفوسهم إلى ما هو أعمق من هذا ؛ فهو ينفذ بروحه إلى حيث مكامن العواطف والانفعالات في نفوسهم؛ فيتعرف الأسلوب الذي تجري عليه نفوسهم في تفهم الأشياء وفي الإحساس بالمؤثرات المتباينة. ويجب أن يكون هو نفسه إلى جانب هذه الدراسة التي لا تتاح لكل إنسان صافي الروح سهل الوجه سريع الملامح والقسمات بحيث ينضح وجهه وصوته عفواً بما ينتاب نفسه من المؤثرات . فإذا اكتمل له هذان العاملان أمكن في غير تحرج أن نقول إنه ممثل كامل . ويقف نجيب الريحاني في الصف الأول من هذا النوع من الممثلين المصريين الذين نذكر منهم مختار عثمان وبشارة واكيم

والواحد من هؤلاء الممثلين الموهوبين يتلقف دوره فيبدأ أولاً في تقليب ذاكرته والبحث فيها عمن مروا به في حياته من الناس الذين يشبهون صاحب هذا الدور الذي عهد إليه بتمثيله . فإذا عثر في ذاكرته على هذا الشبيه المطلوب فقد عثر على كنز . لأنه لن يحتاج في إخراج الدور الجديد إلا أن يتقمص روح هذا الشبيه ، وأن يلاشي نفسه أثناء تمثيل الدور ، وأن يُحل محلها نفس ذلك الذي بحث عنه في ذاكرته واهتدى إليه . فإذا تم له هذا التقمص ، فإنه سيكون على المسرح — أو أمام الكاميرا — صورة هي أقرب الصور إلى هذه الصورة الأصلية الطبيعية . فإذا كان المؤلف قد أسعده بالتطابق التام بين الصورة المرسومة في الرواية والدور ، وبين الصورة الأصلية الطبيعية ، فإن الممثل الموهوب لن يبذل من الجهد أكثر من هذا التقمص الذي ذكرناه ، وهو بعد ذلك يستولى عليه منذ أن يبطنه إحساس يشابه تمام المشابهة الإحساس الذي تركز عليه الصورة الطبيعية الأصلية في كيانها . فهو يتكلم كما تتكلم ويشير كما تشير ، ويمشي كما تمشي ، ويجلس كما تجلس ، ويغضب كما تغضب ، ويسأل كما تسأل ، ويحب كما تحب ، ويعلن حبه كما تعلن حبها ، ويكره كما تكره ، ويعلن كراهيته كما تعلن كراهيتها ... فهو أولاً وأخيراً تم فني في هذه الصورة التي يمثلها ؛ وهو لا يفيق منها إلا إذا غادر المسرح . بل إن من الممثلين الموهوبين من يتلاشون في أدوارهم تلاشياً فلا يستطيعون أن يستعيدوا طبيعتهم إلا بعد أن يفرغوا من تمثيل الدور الذي يستغرقون في تمثيله هذا الاستغراق. ولعل الهواة يلحظون أن على الكسار قد استحال بربرياً من كثرة تمثيله لدور البربري . ولعل منهم من سمع « عزيز عيد » وهو يقول إنه عاش مدة طويلة من الزمن خليفة للسلمين أيام كان يمثل دور السلطان عبد الحميد

وهذه الصور الطبيعية ، أو هذه النماذج الإنسانية الأصلية الصحيحة هي مراجع الممثل الفنان ، وبها تحصى ثروته الفنية . فما دام قد شاهد منها صوراً كثيرة، وما دام قد تمكن من دراسة هذه الصور ، وما دام قد درب نفسه على التبطل التام ليحل محلها صوراً من نفوسها بالتقمص والانصهار والتحول ، فهو إذن ممثل غني قادر متمكن

وهذه الصور تستلزم وقتاً طويلاً من الحياة يبذله الممثل في معاشرة الناس وفي دراستهم ، ولا يمكن لهذه الدراسة أن تتم إلا بهذه المعاشرة التي لا منطق فيها ولا إعداد لها . لذلك كان مما يشبه العبث أن يتعلم الشبان التمثيل في المعاهد التي لا تستطيع أن تعرض عليهم النماذج المتعددة من الصور النفسية الإنسانية ، والتي تقعد عند تمرين الطلاب على الإلقاء وإحسان إخراج الحروف . أما التمثيل الصحيح فمعهده الدنيا كما أنها معهد لكل فن صحيح

وقد يسائلنا هنا سائل : ما الذي يستطيع الممثل أن يصنعه إذا عهد إليه بتمثيل دور تاريخي قد مات صاحبه وانطفأت شعلة روحه ، فلا يستطيع الممثل أن يراقبه ولا أن يدرسه عن كثب ليتمكن بعد ذلك من أن يصهر نفسه ليصوغها بعد ذلك في القالب النفسي الذي كانت عليه نفس هذا الشخص التاريخي الذي يراد تمثيله ؟!

ونحن نقول رداً على هذا السؤال : إن القراءة والدرس في مثل هذه الحالة يجبان وجوباً ، وأنهما يعوضان جانباً كبيراً من الخسارة الفنية التي يخسرها الممثل بحرمانه الاتصال المباشر بالصورة الإنسانية التي يريد أن يمثلها . فبالقراءة والدراسة يستطيع

الممثل أن يقف على أسلوب هذا « الأصل » في الحياة ، ومهما يستطيع أن يتعرف أخلاقه وعاداته ، وما كان يفضل من ألوان اللهو ... وألوان اللهو مهمة جداً في نظر الممثل الفنان ، فهي الأعمال التي يمارسها الإنسان برغبته الخالصة والتي يستطيع الممثل أن يعرف بها ميول هذا الذي يريد أن يمثل دوره . ومتى استطاع أن يعرف هذه الميول وما يتبعها من المزاج الخاص استطاع بعد ذلك أن يرسم بالتمثيل صورة تطابق إلى أبعد الحدود الصورة الأصلية الطبيعية التي يريد أن يمثلها

وقد يحدث أن يمثل ممثلان اثنان ذاتاً واحدة — أو أصلاً واحداً — ولكنهما يختلفان في التمثيل فلا تتطابق الصورتان اللتان يظهر أن كلا منهما هي الأخرى كما حدث ذلك قريباً إذ خرج كل من الممثلين العالميين هاري بور وجون باريمور دور « راسبوتين » فقد خرج الذين شاهدوا جون باريمور في دوره بصورة عن راسبوتين تطابق هذه الصورة الشائعة التي صورته لنا بها المقالات التي كتبت عنه في الصحف ، والروايات التي ألفت عنه وروجتها دور الطبع والنشر ، والروايات الأخرى التي مثلتها عنه المسارح .. وقد كانت هذه جميعاً تمقت راسبوتين وتراه شراً أخبث من الشر ، وتبخل عليه حتى بأخس صفة من الصفات الإنسانية تنسبها إليه؛ فهو عندها الجاهل الذي يدعي العلم ويلزم الناس إلزاماً بأن يروه عالماً ؛ وهو القرد الذي ما يكاد يرى أنثى حتى يسيل لعابه وتهيج فيه أحط الغرائز فيرسلها ثائرة ويطلقها جامحة لا يكبحها ولا يلوى عنانها ؛ وهو السكير الذي لا تكف أمعاؤه من الصراخ في طلب الخمر والذي لا يستقر رأسه بين كتفيه على حال من أثر الشرب ، وهو الدجال في مسوح القديس ؛ وهو آخر الأمر الخائن الذي يبيع وطنه وأهله وذويه بالثمن البخس، فهو إذن الرجل أو الكوم من اللحم الذي لا إنسانية له ولا كرامة ولا عفة ولا شرف ولا قومية ولا دين ! ...

هذا بينما اتجه هاري بور في تصوير راسبوتين إلى اتجاه آخر، فقد أخذ على عاتقه ألا يسترسل في نقد راسبوتين هذا الاسترسال الذي يهدم إنسانيته هدماً ، فاستبقى هاري بور لصاحبه من شره ما لم يستطع أن ينكره لإجماع المصادر التاريخية عليه فأظهره سكيراً محباً للنساء، ولكنه عدل بعد ذلك عن تلوينه بألوان الدجل والخيانة فأظهره صريحاً صادقاً يقول للناس إنه يعالج مريضاته المتبتلات من الإناث بعلاج طبيعي هو عند الرجال جميعاً ولكن الناس لا يرضون أن يصدقوا هذا ويأبون إلا أن يسبلوا عليه مسوح القديس صاحب المعجزات فلا يملك إلا أن يسخر منهم وأن يأتزر في المسوح ، كما أظهره أيضاً مخلصاً لقيصره ووطنه إذ يلح بالنصيحة على القيصر ألا يزج بالروسيا في الحرب لعلمه بعجزها عن المضي فيها

وهكذا اختلفت صورتا « راسبوتين » اللتان عرضهما جون باريمور وهاري بور ، وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف دراسة كل منهما لراسبوتين ، وإلى مطاوعة كل منهما لمؤلفه ...

وأخيراً، فقد يعهد إلى الممثل بتمثيل دور عادي طبيعي لا شذوذ فيه ولا أصل له متميزاً في الطبيعة . عندئذ يستطيع الممثل أن يسترجع نفسه هو ، ولا بد له إذن أن يكون قد راقب روحه ورأى كيف تستقبل الحوادث والفاجآت والمؤثرات وعليه في مثل هذه الأدوار أن يحل نفسه في رداء الدور

عزيز أحمد فهمي



كيف كشفت الأشعة النافذة

للدكتور محمد محمود غالى

لمحة تاريخية — أعمال جوكل وهيس وكولهورستر — المناطيد المسجلة — صعود الأستاذ بيكار في طبقة « استراتوسفير »

إذا أردنا أن نسميها الأشعة الكونية ، أو أردنا أن نسميها الأشعة النافذة ، فإن الأسماء لا تغير الوقائع في شيء ، فهي كونية لأننا لا نعرف مصدرها ، وهي نافذة لأنها تخترق ما يقابلها . ونعيد القول أنه بينما تحجب ورقة رفيعة أشعة الشمس على قوتها ، فإن كتلة من مادة الرصاص يبلغ سمكها متراً لا تحجب إلا نصف عدد الجسيمات المكونة للأشعة الكونية

لم يختلف الفضاء منذ آلاف السنين عن الفضاء الذي نعيش فيه ، ولم تختلف الظواهر الطبيعية والقوانين المرتبطة بها منذ عشرات آلاف الأعوام ؛ ومع ذلك فقد مضت المدنيتان المصرية والإغريقية كما مر عهد العرب دون أن يستمتع أحد منهم بالراديو كما نستمتع به اليوم ، ذلك لأنه كان لزاماً أن يتقدم العالم للحد الذي أمكن لمكسويل الإنجليزي أن يضع الأسس الرياضية لنظرياته الكهرومغناطيسية للموجه ، ولهرتز ليدلنا على أن سرعة الكهرباء هي سرعة الضوء ، ولماركوني الإيطالي وبرانلي الفرنسي ليضعا مع غيرهما الأسس التجريبية التي تيسر لنا اليوم أن نحصل من التاجر على جهاز نسمع منه ، ونحن في وسط الصحراء أو فوق جبل عتاقة ، بعيداً عن كل أثر للمدن أو الحياة ، موسيقيا من القاهرة أو خطيباً من باريس

كذلك الأشعة الكونية ، لم يختلف الفضاء الحامل لقذائفها منذ عهد بعيد ، بل لم تختلف درجة وصولها إلينا منذ أمد طويل ، وفي ظني أن أهرام الجيزة تصاب في هذا العصر بالعدد الكبير الذي كانت تصاب به في أقدم العهود ، هذا العدد أقدره بأكثر من مليون مليون قذيفة في اليوم الواحد[1] تقع كلها على أحجار الأهرام وتتغلغل فيها لمسافات بعيدة تبلغ العشرات من الأمتار

وإذا كان برايش Preich وهاهم Hahm الألمانيان توصلا منذ بضعة أسابيع فقط إلى إيجاد عنصر التوريوم بينما كانا يقذفان عنصر الإورانيوم بإشعاع تقل درجة اختراقه عن الأشعة الكونية ، فماذا جرى في الأهرام منذ بنائها ؟ وماذا تكوّن فيها من ذرات جديدة لم تكن في عداد ذرات أحجارها الأولى ؟

كانت الأشعة الكونية موجودة بلا شك منذ القدم ، وهي ما تزال تحدث أثرها في كل زمان ومكان ، تحدث هذه الآثار في الأهرام كما تحدثها على قمم الجبال أو على سطح البحيرات بعيداً في أعالي النيل ، ومع ذلك لم تكن معروفة للانسان إلا منذ عهد قريب ، وقد تمضي سنون عديدة قبل أن نعرف شيئاً وافياً عن أثرها في المادة التي تقابلها ، أو عن أثرها في حياتنا . ولا شك أنه عند ما نخطو هذه الخطوات تتغير معارفنا ، بل تتغير إلى حد أساليب استعمالنا الأشياء ، ويرى اللاحقون بنا جيلاً يختلف عن الجيل الذي نعيش فيه

* * *

تبدأ معارفنا الأولى عن الأشعة الكونية في سنة ١٩٠٠ ،

---

(١) ذلك باعتبار المساحة التي عليها الهرم الأكبر وهي حوالى ١٣ فدانا وملاحظة أن الأشعة الكونية تصل بمعدل قذيفة واحدة على كل سم٢ في الثانية عند سطح الأرض وأن عدد هذه القذائف يزداد كلما ارتفعنا وهو ما تدل عليه التجارب العلمية

فمنذ ذلك الحين كانت الظاهرة المسماة « التأين[1] المتبقى » Ionisation residuelle معروفة لدى الطبيعيين ، ويبدأ الأعمال الخاصة بهذه الظاهرة بالعالمين الستر وجيتل Elster et Geitel اللذين بينا بطريقة دقيقة كما بيّن العالم الكبير س . ت . ر . ولسون C. T. R. Wilson ، منعزلاً فى البحث عنهما ، أن الهواء الجاف المحصور فى وعاء مقفل ليس عازلاً كهربائياً تاماً ، بل إنه موصل كهربائى ، مهما كان ضعيفاً ، فإنه لا شك فى حالته الكهربائية ، ومعنى هذا أن لكل حجم معين من غاز مصون من جميع الأشعة كالأشعة السينية (أشعة X) ، قدرة على التأين أى على التوصيل الكهربائى ، وبعبارة أخرى تظهر فى الغاز شحنات كهربائية تمثل أو تدل على ظاهرة غير مفهومة . هذه المعلومات الأولى جعلت العالم س . ت . ر . ولسون يظن أن إيجاد اليونات Production d'ions فى الهواء الخالى من جميع المواد المقلقة (كالأتربة الرقيقة) قد يُعزى لإشعاع خارج عن الغلاف الهوائى المحيط بكرتنا الأرضية ، إشعاع شبيه بأشعة رنتجن أو الأشعة الكاثودية ولكن له قوة اختراق عجيبة

وقد شاءت الظروف أن ننتظر سنين طويلة ، ليكون هذا الإلهام أو الوحى الذى أوحى به هذا العالم حقيقة لا تقبل الجدل ، بل شاءت الظروف أن يمضى عشرة أعوام قبل أن تتحقق التجارب الأولى التى تفسر بمقتضاها هذه الظاهرة التى تحدث من تلقاء نفسها وبدون عوامل تتعلق بالأرض أو ما يحيط بها

وتنحصر التجارب الأولى فى قياس الوقت الذى يمر لتفريغ Decharge «الكتروسكوب» ذى ورقتين من أوراق الذهب ، فى حالة نضمن فيها بكل الوسائل عدم إمكان مرور الكهرباء خلال كل الأجسام العازلة المتصلة به . ومع معرفة أن وقت التفريغ يتناسب مع حجم وضغط الغاز ، وجد الباحثون أن عدد الأيونات الحادثة فى السم^3 فى الثانية فى درجة الحرارة والضغط العادى يساوى من ١٠ إلى ٣٠ أيوناً عند سطح البحر لألكتروسكوب معرض للجو فى حالته الطبيعية .

وقد أصبح معروفاً أننا لو حجبنا الألكتروسكوب من جميع الجهات بعنصر ثقيل مثل الرصاص ، فإن الرقم السالف ينخفض إلى ٢ أيون لكل سم^3 فى الثانية ، ويعللون هذا الانخفاض بامتصاص الرصاص لأشعة « جا » الراديومية الصادرة من المواد الأرضية وغيرها من المواد المحيطة بالألكتروسكوب كالمبانى القريبة منه مثلاً .

ولكى نثق أن لعملية التأين مصدراً غير المواد الراديومية الموجودة فى الأرض ، حمل العلماء الألكتروسكوب على سطح بحيرات عميقة جداً ، كذلك فى مناطيد أرسلوها لارتفاعات كبيرة ، وكانت النتيجة أنهم أثبتوا أن عملية التأين موجودة دائماً ، وأنها تزداد كلما ارتفعنا فى طبقات الجو [1]

ولقد كان لجوكل Gockel وهيس Hess وكولهورستر Kolhorster بين سنة ١٩١١ و سنة ١٩١٣ ، الفضل فى القيام بتجارب فى الهواء بإرسال مناطيد إلى ارتفاعات مختلفة تحمل معها غرفة للتأين مصونة من أى إشعاع ، وقد بحث هؤلاء فى التغير الحادث فى عملية التأين فى الحيز الواقع بين سطح البحر ، وبين منسوب ٩٠٠٠ متر . وقد دلت التجارب كما قدمنا أن التأين يتزايد فى الطبقات المرتفعة من الجو . وهذا ما جعل الأفكار تتجه إلى أن سبب التأين أشعة متجهة من أعلى إلى أسفل فى طبقات جو الكرة الأرضية ، وليس أشعة تتجه من الأرض إلى الطبقات العليا

كذلك قام فريق من العلماء بتجارب عديدة تحت سطح الماء بأن حلوا الأوعية التى تحدث فيها عملية التأين ويسمونها : غرفة التأين Chambre d'ionisation فى أعماق البحيرات ، ووجدوا أن عملية التأين تقل كثيراً تحت سطح الماء . ولقد كان

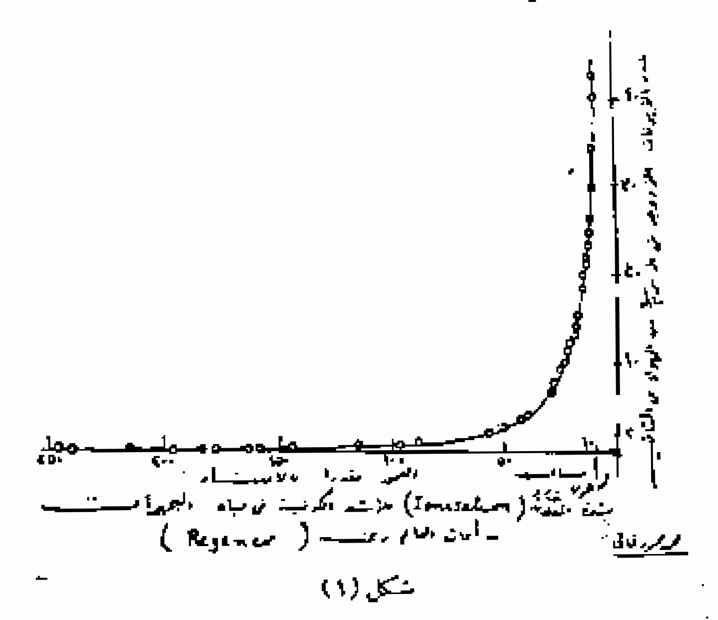
---

(١) التأين حدوث الأيونات جمع أيون (Ion) وقدمنا أن الأيون هو ذرة أو جزىء أو جسيم يحمل شحنة كهربائية . ونستطيع لسهولة النطق أن نسميه بالعربية يون ونجمعه يونات بدل أيون وأيونات

(١) حدثنا مسيو موران Charles Maurin عضو المجمع العلمى الفرنسى فى دروسه التى يلقيها كل عام عن الطبيعة الأرضية أن هذا التأين يقل فى المبدأ عند ما نرتفع عن الأرض ، حتى ظن أن مصدره المواد المشعة الموجودة بها ، ولكن ازدياده بعد ذلك فى الطبقات العليا من الجو بدرجة عظيمة يفسر أن الأرض لا يمكن أن تكون مصدره

(٢) وتسمى بالفرنسية (Physique du Globe) وبالانجليزية (Geophysics) وهى مادة نرى من المفيد تدريسها فى الجامعة المصرية ونرى ان يدرس فيها علاوة على شكل الارض وخواصها ، والزلازل ، والجو ، النيل والصحراء المصرية من الناحية الهيدروليزيقية ، كذلك كل ما يخص دراسة باطن الأرض بالطرق الطبيعية الحديثة .

لـكولهورستر وميليكان Millikan وكامرون Cameron فضل كبير فى هذه المباحث بتجاربهم التى قاموا بها فى البحيرات الجبلية المختلفة الارتفاع ، وأهم ما توصلوا إليه من نتائج ، هو أن درجة التأين . أو قوة الأشعة الـكونية تختلف مع كمية المادة الموجودة فوق غرفة التأين سواء كانت المادة ماء أو هواء



شكل (١)

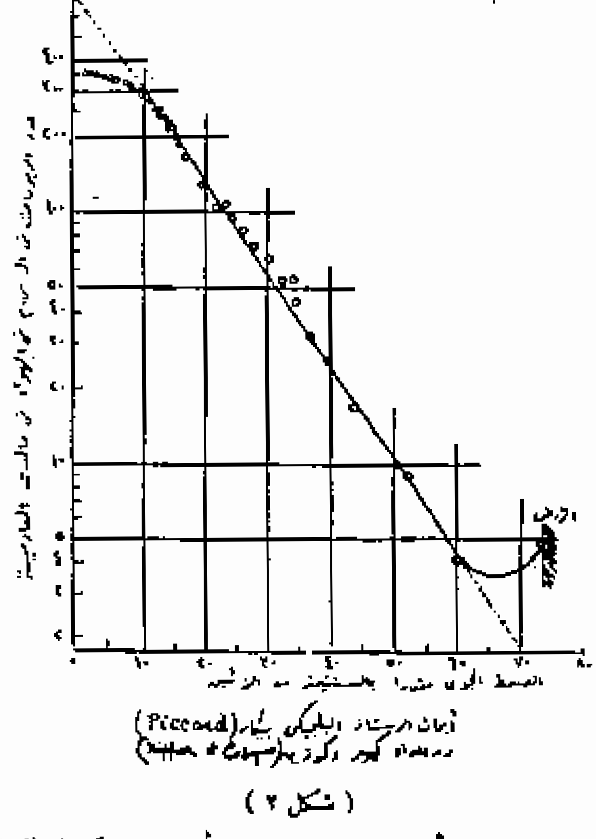
هذه الدراسات بلغت درجة كبرى من الدقة فى أعمال ريجنيه Regener الذى أدلى غرفة مسجلة للتأين فى مياه بحيرة كونستانس إلى عمق ٢٣٠ متراً . كذلك أرسل بغرفة أخرى فى منطاد بلغ فى صعوده ٢٥ كيلومتراً حيث يبلغ الضغط الجوى عند هذا الارتفاع ٢٢ مليمترا وحيث يبقى من كتلة الهواء ٣٪ من كتلته الأصلية وترى نتائج (ريجنيه فى الشكل ١) حيث ترى كيف يتغير عدد الأيونات المزدوجة فى كل سم٣ من الهواء فى الثانية مع العمق ، وكيف يرتفع هذا العدد فى طبقات الجو العليا ؟ وكيف ينخفض جداً تحت سطح البحيرات . وقد دلت التجارب الأخرى أن الأشعة الـكونية تصل مخترقة الماء لمسافات تزيد على ٥٠٠ متر

هذه المناطيد التى استعملها ريجنيه وغيره من النوع الذى يطلقونها بعد أن يضعوا فيها أجهزة طبيعية تسجل الأرصاد المختلفة التى تتبين للعلماء بعد العثور على هذه المناطيد التى ترد فى العادة من الأماكن البعيدة التى تقع فيها، وتسمى هذه المناطيد بالمناطيد الجاسة Ballons Sondes

وقد بلغت هذه المناطيد شأواً كبيراً من التقدم منذ استطاع أيدراك Idrac وبيروه Bureau فى سنة ١٩٢٧ أن يحصلا بطريقة لا سلكية على كل المعلومات التى تسجل داخل البالون ، وترسل باللاسلكى إليهما دون أن يكون داخل البالون الصغير شخص للقيام بهذه المهمة . وقد قدمت فى أعداد مضت من الرسالة أننى استطعت مع العالم بيروه المتقدم الذكر أن أضع طريقة(١) لتسجيل منسوب النيل أو كمية ما تحمله المياه من طمى دون أسلاك ومعرفة ذلك مهما بعدت المسافة

* * *

كل هذا لم يصرف بعض العلماء عن أن يقوموا بتنفيذ فكرة جريئة خطرت لهم وهى الصعود إلى هذه الطبقات العليا من الجو التى يطلقون عليها « ستراتوسفير »



(شكل ٢)

ولقد كان الأستاذ بيكار Piccard أول من فكر فى القيام بنفسه بهذا العمل الجرىء الذى كان يجوز أن يودى بحياته وحياة

(١) نشرت خلاصة أبحاثى هذه فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى فى مايو سنة ١٩٣٨

تلميذه كوزين Cosyns عند ما صعد لأول مرة من ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٢[1] وصعهم كيبر Kipper إلى طبقة الأستراتو سفير[2] للقيام بدراسات علمية عديدة كانت الأشعة الكونية أهم الأغراض فيها ، وقد تبين لبيكار وزميله كيف تتغير الأشعة الكونية مع الارتفاع ، والشكل (٢) يعطي النتائج العملية الهامة التي توصل إليها بيكار فهو يبين كيف يتغير عدد الأيونات في ١ س م٣ في الثانية مع الضغط الجوي أي مع الارتفاع

كل هذا يدل على أننا مغمورون بأشعة تصلنا من أعلى إلى أسفل ولها قوة اختراق عجيبة تزيد على الخمسة أمتار من الرصاص أو الـ ٥٠٠ مترا من الماء ، وهي إما أن يكون مصدرها الطبقات العليا من الجو ، أو أن يكون مصدرها خارجاً عن الغلاف الهوائي المحيط بالأرض .

على أننا سنرى أن تغيّر شدة هذه الأشعة مع خطوط العرض يحتم الرأي الثاني . وسنبين في مقال قادم أن الشمس بدورها لا يمكن أن تكون مصدراً لها كما سنبين أثرها على المادة التي تخترقها ونتكلم عن الوسائل الدقيقة لقياسها ، وتسجيل مسارات جسيماتها وسماعها عند مرورها ، وهي وسائل تختلف عن غرفة التأين السابقة وتعد اليوم أقصى ما بلغه العلم التجريبي من القوة والتقدم .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

(١) نشرت خلاصة أبحاث بيكار الأولى في محاضر المجمع العلمي الفرنسي في سنة ١٩٣٢ ص ٦٠٤

(٢) يسمى العلماء ستراتوسفير الطبقات التي يزيد ارتفاعها على ١٤ كيلو متراً وقد صعد بيكار إلى علو ٢١ كيلو متراً



كتاب جديد لهتلر – ملخص عن «باريس سوار»

يقال إن أحد رجال السياسة المعدودين أراد مقابلة هتلر في الساعة الرابعة بعد ظهر أحد الأيام ، فأجيب بأن الفوهرر لا يمكن مقابلته ما بين الثالثة والخامسة لاشتغاله بوضع كتاب .

فإن دكتاتور ألمانيا يشتغل إلى جانب أعماله السياسية بالأعمال الأدبية والفنية ويوليها جزءاً كبيراً من وقته .

وقد اتفقت وزارة الدعاية الألمانية أخيراً مع دار للنشر في أمريكا على طبع كتاب لهتلر . ويقال إن صاحب هذه الدار بعد أن قدمت إليه رسالة عن تاريخ حياة الدكتاتور استفسر عن اسم الكتاب، فأعلن بأنه كتاب ثان لكتاب « كفاحي » من المحتمل أن يصدر تحت عنوان : « كفاح ألمانيا » . ويليه كتاب ثالث باسم : « كفاح أوربا » .

وتقول بعض المصادر العليمة إن لهتلر كتاباً رابعاً سيصدر بعنوان : « بين الإرادة والطاعة » ، وهو كتاب يجمع آراءه الفلسفية والدينية .

إن هتلر بلا شك قد أخرج أروج كتاب ظهر في القرن العشرين ، فكتاب كفاحي بيع منه ٢٠ مليون نسخة في ألمانيا وحدها .

كيف يقوم هتلر بتأليف هذه الكتب ؟ إن كتاب كفاحي كتب في السجن ومن المعروف أنه قبل أن يكتب آراءه في هذا الكتاب ، عمد إلى بحثها مع كارل هاوسهوفر ، ورودلف هيس ، والفريد روزنبرج . ولكنه في كتابه الجديد لم يسترشد بأحد ، ولم يذكره لأحد .

ويملي هتلر آراءه على كاتبه فيلتقطها على الآلة الكاتبة في سرعة عجيبة ، ويشتغل على الدوام من الساعة الثالثة إلى الخامسة بعد الظهر . وإنما يفعل ذلك لأن مشاغله المتعددة لا تترك لديه مجالاً للاختيار . فإذا تعذر العمل في ذلك الوقت لظرف من الظروف أجل الإملاء إلى ما بعد ظهر اليوم التالي ، على ألا يكون ذلك قبل الساعة الثالثة ، ولا بعد الساعة الخامسة بعد الظهر . وهو يلتزم هذه القاعدة لأنه يحب أن يقيد نشاطه الأدبي بوقت معين

وشاع أن نظرية الكتاب الجديد الذي يشتغل به هتلر ، مبنية على فكرة جديدة لحل مشاكل العالم جميعاً بالطرق السلمية .

فهل تحقق الأيام القريبة نظرية هذا الكتاب ؟ إنه الآن في مركز يجعله أكثر من غيره فطنة إلى ذلك .

المرأة في ظل الدكتاتورية – ملخصة عن (نيو هيرالد جورنال)

الفاشية بطبيعتها لا تتفق وحرية الرأي . فهي في الحقيقة تقوم على حكم القوة . ومن ثم كان مركز المرأة فيها مركزاً ثانوياً ، تحت نفوذ الرجل الذي أعد للحرب والقتال

وعلى ما هو معروف عن الفاشية من المبادئ المنفرة ، نجدها قد وضعت المرأة في مركز لا يبيح لها أن تكون أكثر من آلة صماء لخلق الرجل وخدمته في إبان الحروب

ويقول موسوليني في حديث له مع إميل لودفج : المرأة يجب أن تطيع . إنني لو صرحت للمرأة بالدخول في ميدان الانتخاب لأضحكت مني العالم ، إن النساء في حالة كحالتنا من الواجب ألا يحسب لهن حساب. وقد أضاف إلى ذلك أنه قد أعجب بشخص من أسلافه قتل زوجته لأنها لم تحتفظ بشرفه . هذا ما يفعله أهالي روما الذين انحدرت من أسلافهم . وقد أصدرت الحكومة الفاشية منذ نشأتها قانوناً يقضي بمنع المرأة من تعليم الطفل إذا بلغ الحادية عشرة أمراً ما قد يكون له تأثير في تكوينه الخلقي ، وما زال هذا المبدأ يعمل به إلى الآن .

إن الذين يعرفون ما تقاسيه المرأة في ظل النظام الفاشي — خارج إيطاليا — قليلون

لقد كانت السن الدنيا للزواج في إيطاليا للبنات خمس عشرة سنة، وللرجال ثماني عشرة، فنقص ذلك إلى أربع عشرة للبنات وست عشرة للذكور — في ظل النظام الفاشي —

وقد سن في قانون العقوبات الجديد في إيطاليا مبدأ لا يجعل الرجل مدانا في حالة الاعتداء على أسرته، إلا إذا كان اعتداؤه هذا يترتب عليه عاهة يصعب علاجها، وفي هذه الحالة يحكم عليه بالسجن ستة أشهر بدلاً من خمس سنوات في القانون القديم؛ فإذا ماتت الفريسة ترتفع العقوبة إلى ثماني سنوات بدلاً من الإعدام. وعلى ذلك فللإيطالي أن يضرب زوجته وأولاده كيف يشاء، ما دام هذا الضرب لا يسبب لهم كسراً في العظم، أو فقداً لحاسة من الحواس. وكثيراً ما يشمله العفو في مثل هذه الظروف، على أن الفريسة يندر أن ترفع أمره إلى القضاء.

فإذا هربت إحدى الفتيات من سوء المعاملة، وقد تكون من هؤلاء اللائي لا يتجاوزن الرابعة عشرة، فإن البوليس يطاردها ويقدمها للمحاكم حيث يحكم عليها بالسجن سنة كاملة، أما الرجل فلا يسأل عن سوء معاملته لها.

أما نظام النازي فقل أن يختلف عن هذا النظام من حيث الاستهتار بحقوق المرأة، فالمرأة الألمانية تستوي مع أختها الإيطالية في العاملة التي تعامل بها في ظل الحكم الاستبدادي، ولا تزال الشكوى ترتفع إلى العالم مما تلاقيه. وقد أشارت الفيننشيال تايمز الألمانية إلى أن المرأة لا تضايق الرجل بمشاركتها إياه في الحياة فقط، بل بمنافستها له في كسب الخبز أيضاً.

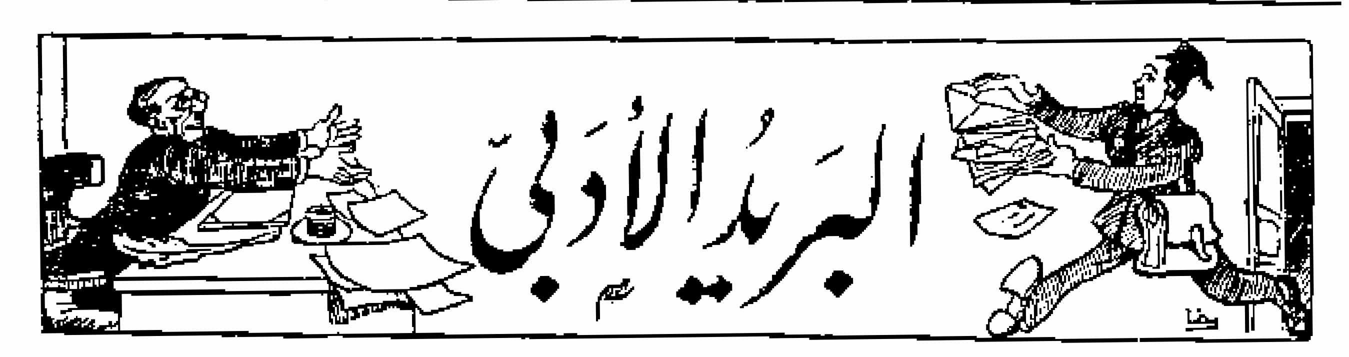
وقد أرغمت المرأة الألمانية على التخلي عن حقوقها الانتخابية وحرمت الحق في التوظف في مصالح الحكومة والمجالس البلدية والمستشفيات، وكذلك بعض المدارس إلا إذا كانت سنها تزيد على خمس وثلاثين سنة. على أنها تفصل من وظيفتها إذا تزوجت من رجل له وظيفة يكتسب منها أو كان من غير العنصر الآري. ويقضي قانون ١٩٣٣ بفصل المرأة من عملها إذا تزوجت وثبت للسلطات أن إيراد زوجها كاف للقيام بنفقاتها. وكذلك إذا كان لها والد أو أخوة يستطيعون القيام بأمرها فإنها تفصل من عملها ولو لم تكن متزوجة

وقد أخرج النازي آلافاً من النساء اللائي كن يقمن بأعمالهن دون أن تمنح لهن شكوى

ولا يصرح بدخول الجامعات في ألمانيا الآن إلا لعشر في المائة من الفتيات اللائي يحصلن على شهادة البكالوريا

وقد سيق آلاف من النساء العاطلات إلى المعسكرات للاشتغال بأعمال الغسل والنظافة والطهي

لقد أنقذت المدنية المرأة منذ أجيال من الاشتغال بالأعمال الزراعية المرهقة؛ ولكن النازية قد ساقت إلى الحقول الكثيرات من نساء ألمانيا الذكيات حيث قضى عليهن بأن يقمن بأشق الأعمال



حماية نفائس دار الآثار العربية

قد سبق لهذا القلم أن عاتب وزارة المعارف فى هذا الباب من الرسالة ، ولا سيما يوم عرض لدار الأوبرا الملكية ولمعهد الموسيقى العربية . ويحلو له اليوم أن يذيع أن وزارة المعارف حمت نفائس دار الآثار العربية إذ منعت خروجها من مصر . وهكذا تذكر الحسنات إلى جانب غيرها

والقصة أن جمعية « مصر — فرنسا » France - Égypte القائمة فى باريس رغبت إلى المستشرق المسيو فييت مدير دار الآثار العربية فى مصر (وذلك بعقد يجدد كل سنتين) أن يظفر بموافقة الحكومة المصرية على الإرسال بأجمل القطع المحفوظة بالدار إلى باريس حتى تمدّ معرض الفن الإسلامى المزمع إقامته هنالك . فاختار المسيو فييت نحو ثمانمائة تحفة وأوعز إلى معاونيه بجمعها وإعدادها للرحيل ؛ وإذا وزارة المعارف تقف فى وجه الأستاذ فييت وترفض أن تقره على عمله

ولا شك أن فى عمل المسيو فييت بعض الشطط . ذلك أن قانون دار الآثار العربية — فيما أعلم — يحظر خروج محفوظاتها منها . وإن قال قائل إن الدار سبق لها أن ترسل بتحف إلى معرض الفن الفارسى سنة ١٩٣١ وأخرَ إلى معرض بروكسل سنة ١٩٣٧ ، فالذى فى الواقع أن تلك التحف كانت معدودة . وأما هذه الدفعة فقد حاول الأستاذ فييت أن يخرج من الدار ثمانمائة تحفة كلها من النفائس التى لا مثيل لها فى سائر البلدان والتى بها تفخر دار الآثار العربية وتعتز مصر . ولو اتفق لهذه التحف أن تنفذ إلى باريس فما يكون مصيرها لو وقعت حرب أو تحطمت أو تشلّت أو أثّر فيها الجو ؟ من أين نجلب أشباهها ؟

والوجه أن الآثار لا تخرج من بلد إذا كانت فريدة لا أخوات لها ، ثم إنه يحسن أن تخرج نماذج لها بدلاً منها . وعلى هذا أقيم معرض النحت الفرنسى لهذه السنة فى الجزيرة فى مصر ، وعلى هذا أكثر المعارض الرفيعة

وبعد ، فالمأمول أن تعد وزارة المعارف نفسها معرضاً للفن الإسلامى تكل أمره إلى دار الآثار العربية ، لأن مصر أحق البلدان فى إقامة مثل ذلك المعرض ، فنفائس دار الآثار لا تجاريها محفوظات المتاحف الأخرى ؛ فضلاً عن أن عددها يبلغ هذا الرقم الجليل : ١٤٣٥٠ بحسب الإحصاء الذى دونه الأستاذ فييت نفسه باللغة الفرنسية لشهر مضى فى « الدليل الموجز لمعروضات دار الآثار العربية » على حين أن آثار الفن الإسلامى المحفوظة فى باريس لا تكاد تتطلع إلى ذلك الرقم

بشر فارس

المبتدأ الذى لا خبر له

قرأت ما كتبه الأستاذ (أبو حجاج) فى رد ما ذهبت إليه فى إعراب المبتدأ الذى لا خبر له ، فوجدته أولاً لم يحاول رد إعرابى بشىء ، وهذا كسب عظيم لذلك الإعراب الجديد ، وكنت أحب للأستاذ أبى حجاج أن يبطل إعرابى هذا قبل أن يحاول تسويغ إعرابهم ، وإذا لم يكن إعرابى باطلاً — وهذا ما أرجوه إن شاء الله — فإنى كنت أحب أيضاً أن يوازن بين الإعرابين ليرى كيف يستقيم أمر المبتدأ على إعرابى ، فيكون مسنداً إليه باطراد ، كما يستقيم ذلك فى الفاعل ونائب الفاعل واسم كان واسم إن ، وكيف يضطرب أمره فى إعرابهم ، فيجعل مسنداً إليه تارة ومسنداً تارة أخرى ؛ مع أن الأصل فيه أن يكون مسنداً إليه . وليس هناك ما يدعو إلى جعله مسنداً إلا ذلك الإعراب الذى يغنى عنه إعرابى ، ولا شىء فى أن يوضع هذان الإعرابان فى ميزان واحد . وإن كان أحدهما متقدماً والآخر متأخراً ، لأن مثل هذا الاعتبار لم يعد له وزن فى عصرنا ، وكم من متأخر رجح متقدماً

ووجدته ثانياً يحاول تسويغ إعرابهم بما أنكرته عليهم ، فهو يسلم ما قلته من أنهم لم يسموا الشيء فاعلاً إلا إذا كان في المعنى فاعلاً ، وهكذا ، ثم يقول إنهم كذلك لا يسمون الاسم مبتدأ إلا إذا كان مبتدأ في المعنى ، أي إلا إذا كان اسماً مجرداً عن العوامل اللفظية وهو إما مخبر عنه أو وصف رافع لما يغني عن الخبر . ولا يخفى أن هذا قياس مع الفارق كما يقولون ، لأن ما سلمه من ذلك معناه ظاهر ، وهو أن الشيء لا يسمى عندهم فاعلاً في الاصطلاح إلا إذا كان فاعلاً في الواقع ؛ أما الذي ذكره في المبتدإ فمعناه أنه سمى مبتدأ في الاصطلاح لأنه مبتدأ في الاصطلاح ، وهذا تهافت ظاهر . ثم هو عين ما أنكرته عليهم ، لأنه اصطلاح يلزم عليه إخراج المبتدأ عن أصله ، وإدخال ما لا معنى لإدخاله فيه

والحق أن الوصف في مثل ذلك جار مجرى الفعل ؛ وكما لا يصلح أن يكون الفعل مبتدأ ، لا يصلح أن يكون ما جرى مجراه مبتدأ ، ولهذا لم يصلح اسم الفعل لأن يكون مبتدأ لأنه جار مجرى الفعل ، والفعل لا يصلح للابتداء به . فكذلك ما يجرى مجراه ، وهذا هو الحق في اسم الفعل ولو قلنا إنه موضوع للدلالة على معنى الفعل ، لا على لفظ الفعل ، لأن الخلاف في ذلك يشبه أن يكون لفظياً ، ولأن الفعل لا يصلح لفظه ولا معناه للابتداء به ، وليس هذا الحكم قاصراً على لفظه فقط

وقد قال صاحب التصريح إن اسم الفعل يعرب مبتدأ على القول بأنه موضوع لمعنى الفعل ، وهو قول غير مسلم عندي ، وما أظن أن أحداً سبقه إليه ، لأن الفعل لا يصلح لفظه ولا معناه للابتداء به ، فكذلك ما يدل على معناه من اسم الفعل ونحوه ، ولأنهم قصروا المبتدأ الذي لا خبر له على الوصف المنوى ، وهو ما دل على ذات ومعنى قائم بها ، وقد أخرجوا منه المصدر لأجل هذا ، إلا أن يكون مؤولاً بالوصف ، ولا شك أن اسم الفعل مثل المصدر في أنه ليس وصفاً بذلك المعنى ، فلا يصح أن يكون مبتدأ مثله . وما أحرى الأستاذ أبا حجاج أن يسلم لي مذهبي بعد هذا كله ، والسلام عليه ورحمة الله

عبد المتعال الصعيدي

نقابة جديدة للموسيقيين . . .

وأخيراً وبعد هذا الزمن الطويل الذي قطعه الموسيقيون في تنافر وتنابذ وشقاق استطاع بعض المصلحين المثقفين منهم أن يلموا الشمل وأن يمهدوا لفكرة التعاون الصادق والإخاء الذي لا ينفصم فاجتمعت الآنسة أم كلثوم بالأستاذ محمد عبد الوهاب، حتى إذا اتفقا وتصافيا ونسيا كل شيء إلا خير الموسيقى ورفعتها والأخذ بيد أبنائها انتقل هذا الاجتماع من (سان جيمس) إلى دار الاتحاد الموسيقي الذي يرأسه الأستاذ ابراهيم شفيق . وقد حضر الاجتماع الذي انعقد يوم السبت ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٩ بالدار من الموسيقيين والمطربات الأساتذة : الدكتور محمود احمد الحفني مدير الموسيقى بالمدارس ، وصالح عبد الحي ، وابراهيم شفيق ، ومحمد بخيت ، ومحمد القصبجي ، وكامل ابراهيم ، والسيدة فتحية احمد . وقد استمر الاجتماع منعقداً أكثر من ثلاث ساعات ذلل فيها أكثر العقبات ورسم فيها أكثر الخطا . . . وقد انصرفوا على أن يجتمعوا بعد أسبوع لتكملة مشروعهم . ولعل الفرح الذي كانت تفيض به نفوس إخوانهم المتفرقين في أنحاء المعهد خير حافز لهم على التوفيق والنجاح . ولعل هذه الحركة المباركة هي المسمار الأخير الذي سيدق في نعش تلك الفوضى التي كانت تسود الجو الموسيقي والتي كانت تحرم الموسيقيين من نقابة ترعى حقوقهم وتسهر على مصالحهم . . .

«المزيانى»

الى شباب الجامعة والأزهر

عرض الأستاذ الكبير العقاد في مقاله القيم : «يبتعون به فهل يعرفونه» المنشور في عدد الرسالة (الممتاز) لبعض الخلط والتمويه الذي يتطرق له الكثير ممن يتصدون للكتابة عن العرب والإسلام من أبناء الغرب . وبين يدي كتاب عن : «لورنس في جزيرة العرب» لرحالة أمريكي يدعى لوول تماس رافق الكولونل لورنس ردحاً من الزمن في جزيرة العرب أثناء الثورة العربية ، حشاه بكثير من الأغاليط لا يعدو الباعث عليها أحد الأسباب التي أشار إليها الأستاذ الكبير في مقاله الآنف الذكر .

لو يتسع لي المجال لقدمت لقراء الرسالة طائفة من عجائب ذلك الكتاب، بيد أني سأقتصر على عجيبتين فقط

قال في ص ٥١ أثناء كلامه عن الحجاج : « ... وبعد أن يقوم الحجاج بتأدية الشعائر الدينية في مكة ؛ يعودون إلى أوطانهم فيخضبون لحاهم ويعرفون بعدها بالحجاج ؛ أو الرجال القديسين . وقبل مغادرتهم مكة تسلم لهم تذاكر تضمن دخولهم الجنة » .

واستطرد في ص ٢٢٣ إلى ذكر الوهابيين فقال : « وهؤلاء المدققون في أمور الدين ، يريدون إبطال الحج ، وإزالة كافة

المزارات : كالـكعبة المقدسة ، وقبة النبي في المدينة » .

وجل ما يكتب في الغرب عن العرب والإسلام على هذه الوتيرة وأثر هذه الـكتابات سيئ وخيم العاقبة ! فـكتبة شبابنا المتعلمين اليوم هي المـكتبة الغربية ، أصيلة في الغالب ، مترجمة في النادر . فحبذا لو تألفت لجنة من شباب جامعة فؤاد الأول ، والأزهر ، لنقد وتمحيص ما يكتب عنا ، لا ليعلم أبناء الغرب حقيقتنا نقية غير مشوبة فقط ، ولـكن لنقي أبناءنا ما وسع الجهد من هـذا الوباء الفتاك أن يسـمم عقولهم . وما عهد المحنة التي وجهت في مصر لـكتاب : « حياة محمد » ببعيد .

(البحرين) « ت »

مخرج ممتاز يفتقر

من أخبار السينما المصرية أن شركة مصر للتمثيل والسينما رفضت تجديد عقد الأستاذ نيازي مصطفى المخرج المعروف وهذا أمر لا يفرح به من يهمه تقدم صناعة السينما المصرية ، ولا سيما بعد ما شهدنا ما بذله من جهد في إخراج روايات نبيلة الموضوع . وهو ممن تعرف قدرته في ألمانيا ، بحسب اعتراف أساتذة فن الإخراج هنالك

حتام يستبعد أهل الـكفاية في هـذا البلد ، إذا بدت منهم الدراية ؟

ب . ف

المعرفات الثقافية بين مصر والبلاد الشرقية

تعنى وزارة المعارف بالعمل على توثيق روابط الثقافة بين مصر والبلاد الشرقية ، وقد ألفت لجنة لهذا الغرض من رجال الخارجية والوزارة برياسة صاحب العزة الأسـتاذ الوكيل لبحث الموضوع ولـكن الرأي اختلف فيه فطلبت وزارة المعارف إلى وزارة الخارجية أن توافيها بما تتضمنه الاتفاقات المعقودة بين الدول الأجنبية في هذا الشأن . فأرسلت إليها نص الاتفاق الذي عقد أخيراً بين فرنسا ورومانيا ، وهو يقوم على القواعد الآتية :

تأليف جمعيات تعنى بتشجيع حركة التعاون الثقافي بين البلدين وإلقاء المحاضرات وطبع الـكتب وتبادل الأساتذة والطلاب بين معاهد البلدين . وإنشاء صناديق ادخار مشتركة لطلبة الشعبين . والأخذ بمبـدأ المساواة في الدرجات العلمية والتزاور بين الشخصيات الـكبيرة المعروفة في عالم الفن والعلم والأدب . وتشجيع سفر الفرق الفنية والتمثيلية والموسيقية إلى البلدين . وإنشاء جمعيات واتحادات « فرنسية رومانية » للطلبة في فرنسا ورومانيا ، والدعاية لنشر الـكتب والمؤلفات الموسيقية والأدبية والأفلام والاسطوانات التي تصدر في أحد البلدين بين سكان البلد الآخر ، وكذلك تشجيع السياحة وتنظيم الرحلات وتبادل الإذاعات اللاسلـكية بين البلدين

ومما يذكر أن مثل هذا الاتفاق عقد بين ألمانيا واليابان وبين هذه الأخيرة وإيطاليا ، وبلغ من اهتمام الحـكومة الأمريكية بهذا الموضوع أنها أنشأت في وزارة الخارجية قسماً خاصاً لتنمية العلاقات الثقافية بينها وبين الدول الأخرى

التسليح الأدبي خير من التسليح المادي

روت المقطم أن ٨٠٠ محافظ ورئيس بلدية في مدن كندا وبلادها اجتمعوا وقرروا أن تضع حكومة كندا برنامجاً تعرضه على جلالة ملك الانكليز وملـكتها عند زيارتهما لـكندا مؤداه أن التسليح الأدبي خير من التسليح المادي في حفظ كيان الأمم وراحتها ورفاهيتها

ومن أخبار بلاد أسوج في شمال القارة الأوربية أن ٢٠٠ أستاذ من أساتذة ٢٥ جامعة من جامعات أوربا وغيرها ، وعدداً كبيراً من تلامذتها اجتمعوا في جبال تلك البلاد ونظروا ملياً في الطريقة الواجب اتباعها في التعليم والتربية والتثقيف لتكون الجامعات بأساتذتها وتلامذتها في طليعة البانين للهيئة الاجتماعية الإنسانية على أسس العدل والحق وحب الإنسان لأخيه الإنسان وما إلى ذلك من الأسلحة الأدبية التي هي خير من الأسلحة المادية لحفظ كيان الأمم وراحتها ورفاهيتها — فنحول إلى ذلك أنظار جامعاتنا الشرقية في مصر وسوريا ولبنان وغيرها

أشباح القرية

تأليف الأستاذ كرم ملحم كرم

للسيدة وداد سكاكيني

الأستاذ كرم ملحم كرم من أكبر أدباء القصة في بلاد العرب ومن أكثرهم إنتاجاً وجهداً موزعاً بين فنون الأدب ، فهو موهوب في الفن القصصي ، نشر رواياته الثلاث : « الصدور » و « صرخة الألم » و « بونا أنطون » فكان لها دوى بعيد ، وكتب أقاصيص رائعة في مجلته « ألف ليلة وليلة » أبدعها قلم مرهف مطواع وتلقاها قراؤه بلهفة وإعجاب ، لا سيما ما كان منها يعبر عن أحداث رأوها رأى العين أو طرقت مسامعهم ، وكان لها مساس بحياتهم . وقد اتخذ الأستاذ كرم الصراحة ديدناً لأسلوبه . فما يخشى بأساً إن عرض في قصصه لشخوص بخصائصهم ومخازيهم حتى أنه اكتسب من جراء قلمه الحر عداء وحسداً توقف تجاههما كالرواسي الشامخات لا تحفل قصيف الرعد ولا تعبأ بهزيم الرياح . وإليه يرجع الفضل في نهضة القصة بلبنان لأنه أول من شق طريقها الجديد منذ أكثر من عشر سنوات فكانت قصصه خير قدوة ودعوة لمن سار على دربه

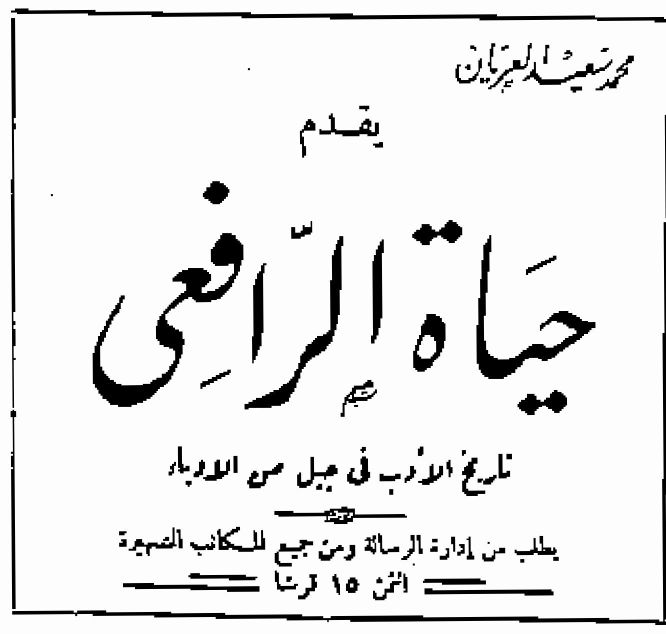
إذا شئت أن ترى القرية اللبنانية وتتعرف إلى حياتها الصحيحة وأهلها رجالاً ونساء فاقرأ كتاب كرم « أشباح القرية » . في هذه القصص ترى الحياة الخالية من كل تبرج وتصنع ، وكيف أن القرية على خلوها من كل زيف وزخرفة لا تسلم من مساوئ المدينة التي تنتقل إليها على أيدي بناتها وأبنائها الذين يهجرونها لتغذية مطامعهم الوثابة ، فما يتركون قريتهم حتى تتولاهم الحيرة والدهشة في طريق البلد الذي يبغون ، حتى إذا حطوا رحالهم باتوا كالمخمورين ، وكلما تغلغلوا في حياتهم الجديدة امتدت آفاق العيش أمامهم دون أن تقف على حد . كل هذا بأوصافه الملونة ودقائقه المصورة تراه مبثوثاً في « أشباح القرية » كأنك تتطلع على ألواح بارزة ورسوم ناطقة بكل ما في الجبل اللبناني من ألوان وظلال

ففي « جبور في بيروت » يصور سحر المدينة لابن القرية وإيثاره السبل الشائن فيها على خدمة الأرض التي عاش عليها آباؤه وأجداده بين الزراعة وجمع الحطب ورعاية الماشية فجوزي على جحوده وطمعه بارتكاب المنكر من فسق وميسر ومراهنة في سباق الخيل وقتل نفس حتى وقع في السجن ولحقته الشماتة والندامة فرجع إلى القرية صريعاً بعيداً عن الساخرين

وفي « رزوق عاد من أميركا » يمثل لك صاحب الأشباح طموح الفلاح والتماسه الرزق وراء البحار وكيف يعود رجلاً آخر يسخر من القرية وأهلها فيضيع ثروته في حياة المدنية ومستواها الذي لم يخلق له

إن في « أشباح القرية » لروعة في الوصف وإبداعاً في التمثيل ونكتة في السياق . غير أنها قد حلت في بعض رسومها ألواناً قاتمة ، ولعلها ندت في بعض أطرافها عن تصوير الحقيقة ، كأن يصف روائي لبنان عجوزاً بأنها كشماء عوراء عرجاء ، فهذا الغلو في التعبير قد يخرج الصورة عن إطارها الذي يليق بها . ولعل لموهبته المولدة وبصيرته النفاذة وقلمه السيال يداً في هذه الهنات التي تنجم عن وفرة الإنتاج وجموح الخيال ؛ فالأستاذ كرم يخلع على قصصه ألواناً من إبداعه حتى تتسع أفياؤها ويلتبس على قارئها أهي واقعة من الحياة أم ابتدعتها مخيلته في الرواية ، ولكني أعتقد أن مذهبه في الفن القصصي مبني على الحقيقة والواقع ، مستمد روعته من مسارح الخيال بدليل أن « أشباح القرية » تمثل لك الأشخاص كأنك عشت بينهم ووعيت حياتهم وعرفت طبائعهم وميولهم . وصفوة القول أن الأستاذ كرم ملحم كرم من بناة النهضة الأدبية الحديثة في لبنان ، وكتابه « أشباح القرية » جدير بالمطالعة والإعجاب لأسلوبه الجميل ولهجته السليمة وصبغته الخاصة على ندرة هذه الميزات في كتاب القصة .

وداد سكاكيني





في الفرقة القومية

عطيـــــل
بين الاخراج والتمثيل

ما أظنك رأيت ناسكا من قطان الصحارى والكهوف الواردة أساطيرهم في الكتب يستيقظ في الفجر يسبح ربه ويقضي نهاره على وتيرة واحدة في الأكل والصلاة ثم يودع الشمس الغاربة بأدعية الحمد والتوسلات إلى البارى العظيم أن يدنى اليوم العظيم يوم الخلاص من الحياة الدنيا . فإذا شاقك أن ترى شبيها لحياة البلادة والكسل وتزاحم أيام الأسبوع وتدافعها حتى ينقضي اليوم الأخير من الشهر، فانظر إلى الفرقة القومية وراقب أعمالها تر ذلك الناسك بعجره وبجره، لا فرق بينهما إلا في صيغة الدعاء والابتهال إلى الله العظيم أن يصرف أذهان نواب الأمة عن مناقشة ميزانية وزارة المعارف التي تمنح إعانة لنساك من الممثلين كموفهم قهوات عماد الدين وكتبهم أوراق البوكر والكونكين

وإذا أردت مثلاً صارخاً لبلادة الناسك ومحافظته على الهدوء كالتمساح يهضم ما ابتلعه من فريسة على مهل فاذهب إلى دار الأوبرا واحضر تمثيل رواية عطيل، فأنت ترى نفس أبطال الممثلين والممثلات الذين لبسوا أدوار هذه الرواية بعينها سنة ١٩١٢ فلا فارق فيما كانوا عليه قبل سبع وعشرين سنة إلا ما سوف أذكره بالتفصيل، وفيما يجب عليهم إدخاله على فن التمثيل من محسنات وتصحيحات لمواقفهم السابقة. ولا شك في أنك تسائل نفسك ما معنى استقدام مخرج أوربي ليحل محل مخرجين مصريين أقصاهما مدير الفرقة ليتيسر له دفع راتب المخرج الأوربي الذي لم يستطع أن يغير حرفاً من الناموس القديم ؟

المخرج الأوربي على شيء من فهم فنه ولا شك ، وقد أقام البينة على ذلك ، ولكنه وياللأسف تأقلم فسرت إليه عدوى الموظف الراكن إلى الراتب الفائت ، المكتفي بإبراز عمل يرضى الرئيس ولا يغضب الممثلات والممثلين فسار يساير هذا ويجاري ذاك كأنه كتلة أصيلة من بيئة المسرح المصري

وعلى هذا القياس تم التجانس والانسجام بين رجل الإدارة ورجل الفن ورجل التمثيل، بدليل أنه لما طاب للفرقة إخراج آخر رواية ترجمها الأستاذ مطران لم يجد المخرج بداً من مسايرة السيدة دولت أبيض والسيد منسى فهمى، بإسناد دور ديدمونة إلى الأولى ودور ياجو إلى الثاني ، وبإبقاء دور عطيل مع الأستاذ جورج أبيض ، أي بإبقاء القديم على قدمه . فهل قام هؤلاء بتمثيل أدوارهم قياماً مقبولاً ؟ وهل أكسبتهم الأعوام اختبارات فنية أضافوها إلى صناعتهم في التمثيل ؟ وهل استطاع المخرج الأوربي تلقيحهم بمعلومات خاصة من عنده ؟

أزعم أن المخرج لم يكلف نفسه عناء تصحيح أي موقف لممثل من مواقف هذه الرواية الجبارة ، ولو فعل حقاً لكان اختار لدور ديدمونة غير الممثلة دولت أبيض ، لا لأنها لم تحسن فهم دورها ، ولا لأنها لم تجد إخراج مقاطع صوتها بحنان وعطف ، ولا لأنها لم تجهد نفسها لإظهار الحب البرىء البكر بأطهر مظاهره، بل لأن تقاطيع وجهها ونظرات عينيها كانت كأنها من صنع رسام فاشل توحي إلى الناظر أكثر من معنى واحد، وتجعله يراها تبكي بينما هي تضحك، أو تضحك بينما هي تبكي. والفروض في المخرج البارع ملاحظة هذه الحالة الفسيولوجية التي لا دخل لإرادة الممثل واجتهاده فيها ، بل والواجب عليه تفاديها ، وليس ثمة من سبيل إلى التفادي إلا باختيار ممثلة أخرى وهن في الفرقة كثيرات

وهناك تقصير من المخرج يستوجب اللوم من أجله ، ولا أجد سبباً لوقوعه فيه سوى سبب المسايرة والمجاراة وإرضاء الجميع على حساب « الضمير الفني » فالممثل الذي لعب دور ياجو وسبق له أن لعبه مرات في خلال ربع القرن الماضي ، إنما كان فهمه له

خطأ، وكان تدريب ممثليه له خطأ أيضاً ، وبذلك دلل على أنه صدى يردد ، وأنه لو كان التفت المخرج إلى هذه الناحية الفوتوغرافية فيه لكان طبعه طبعة صحيحة تظهر نفسية ياجو على حقيقتها وعلى ما هي مفطورة عليه

قد يفهم المخرج الأوربي معاني « الكيد والتحدي والجريمة » وهي عناصر رئيسية في الحيوان الشرير الذي يدعى الإنسان، وأن عوامل التهذيب والتثقيف تصقل هذه الخلائق أو تبرقعها ببراقع في علم السلوك والاجتماع ، وهي تنوص أو تطفو وفق الانفعالات والظروف . وقد يفهم أيضاً أن شخصية ياجو التي رسمها شكسبير العظيم إنما هي بعينها هذه الشخصية المسنة المهذبة، المريضة المثقفة ، وأن لا محيص لصاحبها أن يكون كيساً لبقاً لماحاً مرهف الحس ، لا فجاً كا مهرجاً كما فهمه الممثل منسى فهمي ، وبعبارة أصح كما تركه المسيو فلاندر يلعب دوره على هذا الأساس الخاطئ. فهذا المخرج يستأهل اللوم ، لا لأنه أهمل فقط تدريب الممثل بل لأنه يستهين بثقافتنا وبنهضتنا الأدبية متوهماً أن محيطنا الأدبي وبيئتنا الثقافية تجللهما سحابة خانقة مكفهرة كالتي تشوب الجو المسرحي

لم تكن كل المواقف التي وقفها الأستاذ منسى فهمي خاطئة، فإنه مثل ببراعة المرح البسام والسخرية المريرة إذ يجتمعان في النفس ومثل السخرية من المخلوقات التي تعميها حيوانية الغرائز، ومن تحفزهم طبيعة الطمع ولاقتناص المال واستلابه من هؤلاء الذين جاءهم عفو الإرث من الآباء أو الأجداد ، ومرح الرجل العارف مبلغ قوته ومقدار معرفته طبائع الحياة وأخلاق الناس

قبيل الذهاب إلى الأوبرا أخذت أسائل نفسي: هل نضب الأستاذ أبيض أم ركد أم ما برحت حيويته وثابة تنتهز الفرص الحائزة وتترقب سنوحها بصبر ؟ ثم قلت إن رواية عطيل خير مسبار يبرز نوع معدن الرجل على حقيقته

جلست في مكاني أعير تمثيل الرجل كل انتباهي. فعلت ذلك لسببين الأول لأني شاهدت تمثيل هذه الرواية على مسارح فرنسية وإيطالية، والثاني لأقول لبعض الأصدقاء من الناقدين إن النقد فضلاً عن أنه هبة فهو فهم ، وحس ، وسعة اطلاع ، ولا يطالب الناقد المسرحي بزيارة عواصم العالم ومسارحه كلها ليكون ناقداً مسرحياً فالعبرة إذن ليست بالسياحات بل بما ذكرت من المواهب الطبيعية والاكتسابية

أعرت الأستاذ أبيض انتباهي ويقظة نفسي فألفيته يمثل دوره على نقيض ما مثله فيما مضى . وقد أعجبني منه تحوله عن اللهجة الخطابية وانصرافه عن مظاهر الحماسة إلى تمثيل انشغاله الذهني في شؤون وظيفته العسكرية واضطراب عاطفته المستثارة بلواذع الغيرة ، ولما كانت تعضه الآلام بأنيابها السامة كان يصرخ صرخة هي كومضة البرق في ليل ملبد بالسحب الفاقعة، ثم يعود إلى نفسه ليسكن لواعجها فيداهمه ياجو بمواد من سمومه القتالة . وهكذا مشى الممثل جورج أبيض يقبض على ناصية المسرح وبعبارة أصح يضم أذهان النظارة وأحاسيسهم في قبضة يده

إني وإن كنت أسجل بفخر للمسرح المصري وقفة الأستاذ أبيض فيجب ألا أنسى الآنسة فردوس حسن لأنها على قصر الدور الثانوي الذي مثلته أظهرت كفاية جديرة بالإعجاب والتقدير .

وبعد فأرجو أن يحمل نقدي على محمل الإخلاص الصادق لفرقة يعز علي كثيراً أن أقرأ القاتمة على روح النشاط والجد والغيرة المفروضة فيها والمدومة منها

ابن هاكر




محلات
داود عدس
وولده
معرض
الأزياء الحديثة
صيف ١٩٣٩